جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

العدد (١٥٢)



من أعلام الفكر الإسلامى الحديث

أ.د./ محمود حمدى زقزوق

القاهرة
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

من أعـــلام
الفكر الإسلامى الحديث

أ.د./ محمود حمدى زقزوق

العدد (١٥٢)

القاهرة
صفر ١٤٢٩هـ - فبراير ٢٠٠٨م

يشرف على إصدارها

د/ محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

د/ عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد ،

فالأجيال الجديدة فى حاجة مستمرة إلى تنشيط ذاكرتها بالتعرف على الرواد الذين كانت لهم بصمات واضحة فى تاريخها من أجل السير على نفس الدرب ، ومواصلة الطريق نحو التطور والتجديد فى الفكر وفى الحياة .

وشبابنا فى أشد الحاجة إلى من يأخذ بيده ويملأ الفراغ الفكرى الذى يحيط به ، ويساعده على شق طريقه من أجل خدمة أمته والإسهام فى نهضتها .

وهذا الأمر يتطلب تضافر كل الجهود ، وحشد كل الطاقات حتى تأخذ أمتنا مكانها اللائق بها بين الأمم .

وفى الصفحات التالية نُلقى بعض الضوء على عدد من أعلام الفكر الإسلامى الحديث ممن تركوا آثارا علمية باقية وكان لهم تأثير واضح فيمن جاء بعدهم .

وتُعد هذه الحلقة بداية لسلسلة أخرى من الرواد الذين نعتزم الكتابة عنهم إن شاء الله .

ولنا كبير الأمل فى أن يكون فى نشر هذا الجزء الأول من هذه السلسلة فائدة لقارىء ، أو نفع لباحث .

وعلى الله قصد السبيل .

دكتور / محمود حمدى زقزوق

التهانوى (قبل ١٧٠٠)

١ - حياته :

هو المولوى محمد أعلى بن على التهانوى - كما هو مدون على كتابه المطبوع « كشاف اصطلاحات الفنون » . ولكنه يذكر نسبه فى مقدمة هذا الكتاب على النحو التالى : محمد على بن شيخ على بن القاضى محمد حامد بن محمد صابر الفاروقى السنى الحنفى التهانوى . عالم هندى معروف عاش فى القرن الثانى عشر الهجرى الموافق للقرن الثامن عشر الميلادى . ولم تشر المراجع إلى تاريخ دقيق لمولده أو وفاته . ولكنه هو قد أشار فى مقدمة كتابه المشار إليه أنه قد فرغ من تأليفه عام ١١٥٨هـ (الموافق ١٧٤٥م) ، فتكون وفاته بعد هذا التاريخ .

وفى هذه المقدمة يشير أيضا إلى أنه قد تلقى العلوم العربية والشرعية على يد والده . ولم يكتف التهانوى بهذا القدر من العلوم والمعارف فاتجه لدراسة العلوم الفلسفية والرياضيات وغيرها من العلوم والفنون التى كانت معروفة حينذاك . وقد أعطته هذه الدراسة الشاملة إحاطة واسعة بشتى العلوم والفنون ، الأمر الذى مكنه من تأليف موسوعته الشاملة لاصطلاحات العلوم والفنون المختلفة .

٢ - مؤلفاته :

أشهر مؤلفاته على الإطلاق الموسوعة الكبيرة لاصطلاحات العلوم والفنون المسماة « كشاف اصطلاحات الفنون » . وقد نشرت هذه الموسوعة أول مرة فى كلكتا بالهند عام ١٢٧٨هـ الموافق ١٨٦١م بتحقيق كل من : مولوى محمد وجيه ، ومولوى عبد الحق ، ومولوى غلام قادر ، وبإشراف المستشرق النمساوى الأصل البريطانى الجنسية ألويز اشبرنجر (A. Sprenger) . وقد أعادت نشر هذه الموسوعة عام ١٩٦٦م دار نشر خياط فى بيروت فى ستة مجلدات من القطع الكبير تحت عنوان : « موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون للشيخ المولوى محمد أعلى بن على التهانوى » .

وللتهانوى بالإضافة إلى ذلك كتاب بعنوان « سبق الغايات فى نسق الآيات » .

٣ - أراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كانت فكرة إخراج موسوعة تشتمل على اصطلاحات جميع العلوم تسيطر على ذهن التهانوى منذ كان لا يزال فى مرحلة طلب العلم . ويعبر عن ذلك بقوله : « وقد كان يختلج فى صدرى أوان التحصيل أن أؤلف كتابا وافيا لاصطلاحات جميع العلوم » . ولعله قد شعر هو نفسه فى تلك الفترة من طلب العلم

بهذه الصعوبة التى تواجه الدارسين فى الاهتداء إلى المصطلحات المختلفة لشتى العلوم والفنون ، فدفعه ذلك إلى أن يوفر على غيره من الدارسين الوقت والجهد فى البحث والتنقيب . وقد جعل ذلك هدفا أساسيا نصب عينيه ، ولم يهدأ له بال إلا بعد أن أصبح هذا الأمل حقيقة واقعة .

ويبين التهانوى وجه الحاجة إلى مثل هذه الموسوعة الشاملة قائلا : « إن أكثر ما يحتاج به فى تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح ، فإن لكلٍّ اصطلاح خاص به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلا .... فطريق علمه إما الرجوع إليهم أو إلى الكتب التى جمع فيها اللغات المصطلحة » . ولما لم يجد كتابا حاويا لاصطلاحات جميع العلوم المتداولة بين الناس وغيرها من فنون غير متداولة قرر أن ينهض هو للقيام بهذا العبء .

ويشير التهانوى فى مقدمة موسوعته « كشاف اصطلاحات الفنون » . إلى أنه بعد أن انتهى من تحصيل العلوم العربية والشرعية جد فى طلب العلوم الفلسفية والرياضيات كعلم الحساب والهندسة والهيئة والاسطرلاب وغيرها من علوم متداولة . أما منهجه الذى سار عليه فى تأليف هذه الموسوعة فيتضح من قوله : « فاقتبست منه (من هذه العلوم المختلفة) المصطلحات أوان المطالعة ، وسطرتها على حدة ، على حدة فى كل باب يليق بها على ترتيب حروف النهجى كى يسهل استخراجها لكل أحد . وهكذا اقتبست من سائر العلوم فحصلت

فى بضع سنين كتابا جامعا . ولما حصل الفراغ من تسويدها سنة ألف ومائة وثمانية وخمسين (من الهجرة) جعلته موسوما وملقبا بكشاف اصطلاحات الفنون ، ورتبته على فنين : فن فى الألفاظ العربية ، وفن فى الألفاظ الأعجمية » .

وقد صدر التهانوى موسوعته تلك بمقدمة طويلة تزيد على خمسين صفحة فى بيان العلوم المدونة وما يتعلق بها . وقد مهد لهذه المقدمة مبينا وجه الحاجة إليها بقوله : « ولما كان للعلوم المدونة نوع تقدم على غيرها من حيث أنا إذا قلنا هذا اللفظ فى اصطلاح النحو موضوع لكذا مثلا وجب لذا أن نعلم النحو أولا ، وكان ذكرها (أى ذكر العلم المعَّين وما يتصل به) مجموعة موجبا للإيجاز والاختصار والتسهيل على النظار - ذكرتها فى المقدمة » .

وقد أفاض التهانوى فى هذا الصدد فى تصنيف العلوم مفصلا القول فى العلوم المدونة وما يتعلق بها ، وتقسيماتها إلى نظرية وعملية ، وآلية وغير آلية ، وعربية وغير عربية ، وشرعية وغير شرعية ، وحقيقية وغير حقيقية ، وعقلية ونقلية ، وجزئية وغير جزئية . وأشار إلى أجزاء العلوم ، وناقش ما قيل من أنه لابد فى كل علم من العلوم المدونة من أمور ثلاثة : الموضوع والمسائل والمبادىء ، كما تحدث عما يسمى بالرءوس الثمانية ، وهى الأمور التى يجب على من يشرع فى شرح كتاب من الكتب أن يتعرض فى صدره لها قبل الشروع فى المقصود . وهذه الرؤوس الثمانية هى :

١ – الغرض من تدوين العلم .

٢ – المنفعة .

٣ – السمة (عنوان الكتاب) .

٤ – المؤلف أو المصنف .

٥ – نوع العلم وعما إذا كان من اليقينيات أو الظنيات من النظريات ، أو العمليات من الشرعيات .

٦ – مرتبة العلم المقصود بين العلوم .

٧ – القسمة : أى بيان أجزاء العلم وأبوابه .

٨ – الأنحاء التعليمية .

وبعد تفصيل القول فى تقسيمات العلوم العربية والشرعية عرف العلوم الحقيقية بأنها تلك العلوم التى لا تتغير بتغير الملل والأديان ، وجعل منها علم الكلام لأن جميع الأنبياء كانوا متفقين فى الاعتقادات ، ومنها أيضا علم المنطق وبعض أنواع الحكمة .

وفى نهاية المقدمة عقد التهانوى فصلا للحديث عن العلوم المحمودة والمذمومة ، ونقل الكثير من الآراء فى ذلك . وعن مكان الفلسفة بين هذه العلوم جاءت الإشارة فى هذا الصدد إلى أنها علم بعيد عن علم الآخرة يشتغل به الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة . ولكنه نقل عن بعض العلماء تصريحهم « بجواز تعلم الفلسفة وفروعها من الإلهى والطبعى والرياضى ليرد على أهلها ويدفع شرهم عن الشريعة فيكون من باب إعداد العدة » .

٤ - مراجع :

١ - كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى - بيروت ١٩٦٦م .

٢ - الأعلام للزركلى جـ٦ ص ٢٩٥ - بيروت ١٩٧٩م .

٣ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة جـ١١ ص ٤٧ - بيروت (دون تاريخ) .

حسن العطار :
(١٧٦٦هـ - ١٨٣٤م)

١ - حياته :

ولد حسن العطار فى القاهرة عام ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) ، وبعض المراجع ترجح أن ولادته كانت بعد هذا التاريخ بعامين . وهو ينحدر من أصل مغربى . وكان والده الشيخ محمد كتن عطارا فقيرا يرغب فى أن يعمل ابنه معه فى حانوته ، ولكن الصبى كان حاد الذكاء شغوفا بالعلم فحفظ القرآن والتحق بالجامع الأزهر . وقد درس بجانب العلوم الأزهرية العلوم الهندسية والرياضية والفلكية وتعمق فى دراستها واشتغل بالتطبيق العملى للمعارف التى تعلمها نظريا . فقد « كان يرسم بيده المزاول النهارية والليلية » ، كما كان يتقن الرصد الفلكى بالاسطرلاب . وقد سجل هذا في مؤلفاته . كما كان له اهتمام بالطب والتشريح والموسيقى التى كان يجيد فنونها . وعندما ابتليت البلاد بالحملة الفرنسية غادر القاهرة إلى أسيوط ثم عاد إلى القاهرة إبان الاحتلال واتصل بعلماء الحملة الفرنسية وشاهد التجارب العلمية التي قاموا بها . ثم سافر إلى مكة للحج ومنها إلى فلسطين ثم رحل إلى الشام وأقام بدمشق ، ثم سافر إلى استانبول وألبانيا . وكان يجيد التركية وله إلمام

بالفرنسية ، وكان يطلع دائما على الكتب المعربة وكان له ولع شديد بسائر المعارف البشرية كما يقول عنه صديقه المؤرخ الجبرتى .

وبعد أن تخلصت البلاد من الاحتلال الفرنسى عاد إلى القاهرة . وقد عهد إليه محمد على باشا بإنشاء جريدة الوقائع العربية (المصرية) والإشراف على تحريرها ، وكان أديبا وشاعرا معدودا فى طليعة الأدباء والشعراء فى عصره . وكان يحضر دروسه فى الأزهر الكثير من العلماء والطلاب « فكان إذا بدأ درسه ترك كبار العلماء حلقاتهم وأقبلوا عليه مستزيدين من علمه الفياض » . ومن بين من كان يحضر مجالسه من المستشرقين المستشرق الإنجليزى المعروف إدوارد وليم لين (E.W.Lane) .

وقد تولى الشيخ حسن العطار مشيخة الأزهر عام ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) وظل فى هذا المنصب حتى وفاته عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) . وقد قال عنه الجبرتى : إنه « قطب الفضلاء وتاج النبلاء ، ذو الذكاء المتوقد والفهم المسترشد ، الناظم الناثر ، الآخذ من العلوم العقلية والأدبية بحظ وافر » .

٢ - مؤلفاته :

للشيخ العطار مؤلفات عديدة تدل على سعة معارفه وعميق ثقافته . وقد شملت مؤلفاته علوم المنطق والفلك والطب والكيمياء والهندسة والتاريخ والجغرافيا كما شملت الأدب

شعرا ونثرا بالإضافة إلى أصول الفقه وعلم الكلام والنحو والبيان ، ومن أهم مؤلفاته فى المنطق : حاشية العطار على التهذيب للخبيصى ، وحاشية على شرح إيساغوجى فى المنطق لأثير الدين بن عمر الأبهرى ، وحاشيته على كتاب نيل السعادات فى علم المقولات للشريف البليدى ، وحاشيته على الجواهر المنتظمات فى عقود المقولات للشيخ أحمد السجاعى .

ومن مؤلفاته فى علم الكلام : رسالتان فى علم الكلام وحاشية العطار على شرح العصام على الرسالة العضدية للإيجى . وفى أصول الفقه له حاشية العطار على جمع الجوامع فى أصول الفقه لأبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى . وله فى النحو حاشية العطار على شرح الشيخ خالد الأزهرى لكتاب قواعد الإعراب لابن هشام النحوى ، وحاشية أخرى على شرح الأزهرى على متن الأجرومية ، وله منظومة العطار فى علم النحو . وفى علم البيان له شرح السمرقندية فى علم البيان لمؤلفها ابن القاسم بن بكر الليثى السمرقندى . وفى المراسلات له إنشاء العطار فى المراسلات والمخاطبات وكتابة الصكوك والشروط مما يحتاج إليه الخاص والعام . وله فى الأدب شرح كتاب الكامل للمبرد ، كما قام بجمع وترتيب ديوان ابن سهل الأندلسى ، وله ديوان العطار الذى يشتمل على الكثير من شعره . وفى الطب والفلك وغيرهما من العلوم المتصلة بهما له رسائل منها : رسالة فى كيفية العمل بالاسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط (وهى آلات رصد فلكية) ، ورسائل

فى الرمل والزايرحه (وهما طريقتان لاستطلاع معرفة الغيب) والطب والتشريح وغير ذلك ، وثلاث مقالات طبية فى الكى والفصد ، ونبذة فى علم الجراحة . وكان للشيخ العطار مشاركة فى علم التاريخ والجغرافيا ، وله كتاب « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » وقد اقتبس منه الجبرتى كتابه المعروف بهذا الاسم . وقد أشار الجبرتى فى مقدمة كتابه إلى ذلك بقوله عن أحداث الحملة الفرنسية : « وكان ممن اعتنى أيضا بجمع تلك الأخبار قطب الفضلاء وتاج النبلاء .... صاحبنا العلامة حسن ابن محمد الشهير بالعطار ... فضممت قائمة من بعض منظومه ومنثوره بحسب المناسبة إلى هذا الشعر لينتظم معناه فى سلك حسن الذكر » .

وكثير من هذه الآثار التى تركها الشيخ العطار لا تزال مخطوطة فى دار الكتب المصرية .

٣ - أراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كان مما يؤرق بال الشيخ حسن العطار ما كان يراه من تخلف فكرى وركود عقلى فى أوساط العلماء الذين وقفوا مقلدين لما تركه لهم أصحاب المتون والحواشى من المتأخرين . ومن أجل ذلك نجده يدعو إلى تغيير هذه العقلية حتى تكون قادرة على النهوض من حضيض التخلف الذى تعانى منه الأمة فى شتى الميادين - وهذا التغيير لن يتم إلا بالعلوم والمعارف والأخذ بأسباب التقدم والحضارة . وقد كان شعاره فى ذلك

يتمثل فى قوله « إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها » .

وكانت جملة إصلاحاته تتجه نحو إصلاح الفكر وذلك لاقتناعه بأنه بدون إصلاح الفكر لن يكون هناك أمل فى التقدم . وقد كان الشيخ معجبا بما وصلت إليه فرنسا فى العلوم والمعارف رغم كراهيته الشديدة للاحتلال الفرنسى .

ويعد الشيخ حسن العطار من الرواد الأوائل الذين اتجهوا نحو إصلاح التعليم فى الأزهر ، وقد وضع بذرة الإصلاح الثقافى فى عهده لتتعهدها الأجيال بالرعاية من بعده حتى تؤتى ثمارها ، ووجه تلاميذه إلى التجديد فيما يقومون به من دراسات وأبحاث حتى وإن كانت تتناول موضوعات قديمة . وهو الذى أشار بإرسال تلميذه النجيب رفاعة الطهطاوى إلى فرنسا . وهو الذى وجهه وأرشده إلى استيعاب كل ما يمكن استيعابه من آثار الحضارة الفرنسية ، وأشار عليه بتدوين كل ما يشاهده أو يعرفه أو يسمع عنه . فكانت نتيجة هذه التوجيهات أن قام الطهطاوى بتأليف كتابه « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » .

وقد دعا الشيخ حسن العطار إلى التجديد فى مناهج التربية والتعليم ونادى بإدخال العلوم الحديثة والعلوم المهجورة بالأزهر إلى مناهج الدراسة الأزهرية ، فطالب بدراسة الفلسفة والجغرافيا والتاريخ والأدب والعلوم الطبيعية ، كما طالب بالرجوع إلى أمهات الكتب العلمية وعدم الاقتصار على المتون

والحواشى المتأخرة . وكان يتناول الموضوعات القديمة بأسلوب جديد وعرض جذاب . وقد ظهر ذلك واضحا فى دروسه وتعليقاته على تفسير البيضاوى الذى كاد أن يكون مهجورا فى الأزهر ، كما دفع تلميذه الأديب محمد عياد الطنطاوى إلى شرح مقامات الحريرى بأسلوبه الأدبى البليغ ، ودفع تلميذه الطهطاوى لتدريس الحديث والسنة بطريقة المحاضرات دون التقيد بكتاب خاص يقرأ منه أو نص معروف يعتمد عليه فكان مثار إعجاب العلماء .

وقد برع الشيخ فى فنون النثر والشعر ، كما برع فى غيرهما من علوم وفنون ، وكان يميل فى الكتابة فى الأمور العلمية والشئون المألوفة إلى سهولة الأسلوب والتخلص من السجع والبعد عن التكلف ، ولكنه كان فى الكتابة الأدبية يتأنق فى الصياغة ويلتزم السجع ويراعى المحسنات البديعية .

أما شعره فقد تناول فيه شتى فنون الشعر المعروفة فى زمانه وبخاصة مجالات الوصف والتهنئة والمدح ، وترى فى شعره الوصفى بعض اللمسات الوجدانية الرقيقة ويتجلى ذلك فى وصفه لجمال الطبيعة فنراه يضرب صفحا عن أساليب القدماء فيتغزل فى جمال الطبيعة بدلا من التغنى بالأطلال البالية والدمن العافية . ويُعد شعره إرهاصا ببزوغ فجر جديد للنهضة الشعرية التى شهدتها الساحة الأدبية بعد ذلك على أيدى شعراء طلائع النهضة فى العصر الحديث وعلى رأسهم محمود سامى البارودى .

ويمكن القول - كما جاء فى أعلام الفكر الإسلامى لأحمد تيمور باشا - بأن الشيخ « كان له موقف متكامل من مشكلات مجتمعه الثقافية والتعليمية والأدبية والسياسية . وقد حاول أن يشخص هذا الواقع ويحدد جوانب الضعف فيه ، كما نادى بضرورة تغييره ورسم برنامج هذا التغيير ، ثم أسهم بدوره فى هذا التغيير . وأخيرا أنه عهد بأمانة هذا التغيير ومستقبله إلى تلاميذه الذين يعتبر رفاعة الطهطاوى نموذجهم الفذ الذى بلغت حركة العطار على يديه أوجها » .

وقد وصفته دائرة المعارف الإسلامية - فى مادة الأزهر - بأنه « كان رجلا مستنيرا اشتهر بعلمه ، وكان أيضا شاعرا ناثرا من أصحاب الأساليب » .

٤ - مراجع :

١ - أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث لأحمد تيمور باشا القاهرة ١٩٦٧م .

٢ - مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن لعلى عبد العظيم ج١ القاهرة ١٩٧٨م .

٣ - تاريخ الجامع الأزهر لمحمد عبد الله عنان - القاهرة ١٩٥٨م .

٤ - الأزهر فى ألف عام للدكتور أحمد محمد عوف - سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧٠م .

٥ - دائرة المعارف الإسلامية -المجلد الثالث - طبعة دار الشعب .

حسونة النواوى

(١٨٣٩ - ١٩٢٤م)

١ - حياته :

ولد الشيخ حسونة بن عبد الله النواوى عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) فى بلدة نواى التى نسب إليها ، وهى بلدة تابعة لمركز ملوى بمحافظة أسيوط . التحق بالأزهر وتلقى العلم على يد مشايخ الأزهر الكبار . وبجانب دراسته للعلوم الأزهرية التقليدية درس المنطق والفلسفة على يد الإمام الإنبابى ، وكان يمتاز بالذكاء والنبوغ . وعندما أتم دراسته جلس لتدريس أمهات الكتب العلمية ، فلفت إليه الأنظار ، فاختاره الأزهر لتدريس الفقه فى جامع محمد على باشا بالقلعة ، وعينته نظارة المعارف - بجانب عمله في مسجد القلعة - أستاذا للفقه بدار العلوم ومدرسة الحقوق . وبذلك « امتاز على غيره من مشايخ الأزهر الذين اعتزلوا الحياة خارج الأزهر ، ولم يعرفوا ما جد فيها من أحوال جديدة . وقد جعله هذا خير من يصلح للقيام بما تريده الحكومة من إصلاح الأزهر » .

ومن أجل القيام بهذه المهمة انتدبه الخديوى وكيلا للأزهر عام ١٣١١هـ (١٨٩٤م) ثم صدر قرار بتعيين لجنة لمعاونته فى إصلاح شئون الأزهر عام ١٣١٢هـ مكونة من كبار علماء الأزهر

كان أبرزهم الشيخ محمد عبده ، ثم عين شيخا للأزهر عام ١٣١٣هـ (١٨٩٦م) ، كما أسند إليه منصب الإفتاء عام ١٣١٥هـ ، وانتخب بجانب ذلك عضوا دائما غير قابل للعزل فى مجلس شورى القوانين . ولكن الخديوى أصدر عام ١٣١٧هـ قرارا بتنحيته من مشيخة الأزهر ومن الإفتاء لمعارضته بعض مقترحات الحكومة . ثم أعيد إلى مشيخة الأزهر مرة ثانية عام ١٣٢٤هـ ، ولكنه آثر ترك المنصب عام ١٣٢٧هـ لما رآه من اختلال الأحوال فى الأزهر وتخبط الرؤساء ويأسه من الإصلاح ، ولزم داره حيث كان يتردد عليه محبوه وعارفو فضله وعلمه حتى لقى ربه عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) .

٢ - مؤلفاته :

لقد كان الشيخ حسونة النواوى مقلا فى مجال التأليف . وأهم مؤلفاته كتاب «سلم المسترشدين فى أحكام الفقه والدين» فى جزئين كبيرين . وقد عرض فى هذا الكتاب بأسلوب واضح القضايا الفقهية فى مذهب أبى حنيفة ، وقد لقى الكتاب شهرة واسعة جعلت نظارة المعارف تقرر دراسته فى المدارس الأميرية . وقد قال عنه إلياس زخورة صاحب « مرآة العصر » : « وهو كتاب فى جزئين جمع فيه الأصول الشرعية مع الدقائق الفقهية ببيان شاف وإيضاح واف مما لا يجمعه غيره ، وقد اقتنت المدارس الأميرية هذا الكتاب وعلمته تلامذتها » .

وتذكر بعض المراجع أن للشيخ - عدا هذا الكتاب - كتبا عديدة ورسائل كثيرة وكلها جيدة الصنع ، كما أن بصمات الشيخ واضحة وملموسة فى صياغة قانون تنظيم الأزهر الذى صدر حينذاك .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كان الشيخ حسونة النواوى معنيا بقضية إصلاح نظام التعليم فى الأزهر ، واستطاع بمعاونة اللجنة التى شكلت لمساعدته - والتى كان أبرز أعضائها الشيخ محمد عبده - أن يعد قانونا جديدا لتنظيم الأزهر صدر عام ١٣١٤هـ . وقد تشكل بمقتضى هذا القانون مجلس إدارة للأزهر مهمته وضع القواعد التى يسير عليها التدريس فى الأزهر ، وضبط الأمور المتعلقة بالطلاب والإدارة وكل ما له تعلق بالأزهر . وقد اشتمل هذا القانون على منع تدريس الحواشى والتقارير للطلبة المبتدئين فى السنوات الأربع الأولى ، وبعدها يخير الطلاب والأساتذة فى النظر فى الحواشى . أما التقارير فلا تدرس إلا بقرار من مجلس الإدارة .

وقد كان علماء الأزهر ينفرون من إصلاحات الشيخ النواوى ويبدون ضيقهم بخطه لأنه جاء مؤيدا لتدريس العلوم الحديثة مثل الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان وما إليها فى الأزهر . وكان هؤلاء العلماء يرون أن إدخال هذه العلوم المستحدثة فى برامج الأزهر يقصد منه القضاء على العلوم

الشرعية أو تقليل الرغبة فيها مع أن هذه علوم قديمة كانت تدرس فى الأزهر قبل انحطاطه . وقد أشاعوا أن الشيخ حسونة ممالىء للإنجليز على هدم مكانة الأزهر بإدخال العلوم الحديثة فيه .

ولكن نظرة الناس إلى الشيخ حسونة قد تغيرت ، وتحققوا من بطلان ما اتهموه به بعد أن أصدر الخديوى قرارا بتنحيته من مشيخة الأزهر والإفتاء لمعارضته الحكومة فى الاقتراع الذى عرض على مجلس شورى القوانين بتعيين قاضيين أهليين من مستشارى محكمة الاستئناف الأهلية عضوين فى المحكمة الشرعية العليا ، وكان للإنجليز رغبة فى تعيينهما . وقد وقف الشيخ ضد هذا الاقتراح ، ولم تفلح محاولات الخديوى فى إقناعه بقبول الاقتراح بعد تعديله ، وقال : « إن المحكمة الشرعية العليا قائمة مقام المفتى فى أكثر أحكامها ، ومهما يكن من التغيير فى الاقتراح فإنه لا يخرجه عن مخالفته للشرع ، لأن شرط تولية المفتى مفقود فى قضاة الاستئناف » .

وفى عام ١٨٩٧م أنشأ الشيخ حسونة مكتبة الجامع الأزهر بناء على اقتراح من الشيخ محمد عبده . وقد تألفت نواتها الأولى من مجموعات الكتب التى كانت تضمها أروقة الجامع الأزهر ومكتبات بعض المساجد الأخرى . وبلغ ما كانت تضمه المكتبة وقت إنشائها زهاء ثمانية آلاف مجلد .

وقد قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : « كان على خلق أعجب به المصريون ، وكان له فى مدرسة الحقوق نفوذ على

الطلبة الذين أصبح لهم من بعد شأن فى ميدان السياسة المصرية » .

٤ - مراجع :

١ - سجلات دار الافتاء المصرية .
٢ - مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن . تأليف على عبد العظيم ج١ - القاهرة ١٩٧٨م .
٣ - تاريخ الإصلاح فى الأزهر للشيخ عبد المتعال الصعيدى (جزءان) مطبعة الاعتماد بمصر (د . ت .) .
٤ - تاريخ الجامع الأزهر لمحمد عبد الله عنان - القاهرة ١٩٥٨م .
٥ - أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث لأحمد تيمور باشا القاهرة ١٩٦٧م .
٦ - دائرة المعارف الإسلامية - مادة الأزهر - المجلد الثالث طبعة دار الشعب .

جمال الدين القاسمى
(١٨٦٦ - ١٩١٤م)

١ - حياته :

هو محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم ، المعروف بالقاسمى نسبة إلى جده المذكور . وقد ولد جمال الدين القاسمى فى ١٨٦٦/٩/١٧م فى دمشق ، ونشأ وتعلم فيها . وقد أخذ العلم على طريقة القدماء فحفظ القرآن الكريم ثم تعلم الكتابة ، وبعد ذلك انتقل إلى مكتب فى المدرسة الظاهرية ، وهناك تعلم مبادىء التوحيد والنحو والصرف والمنطق والبيان ، وجوَّد القرآن ، ثم درس أمهات الكتب فى النحو والتفسير والحديث ، وأجازه كثير من علماء عصره .

وقد أظهر القاسمى نبوغا فائقا أهَّله لإقراء الطلاب مبادىء العلوم وله من العمر أربعة عشر عاما . وكان بجانب نبوغه فى علوم الدين متضلعا فى فنون الأدب . وعلى الرغم من أنه أخذ معارفه الأولى على الطريقة المألوفة فى عصره فإنه قد راح يوسع من آفاقه ، وينهل من معين المعرفة ، ويتابع تطور الحركة العلمية فى جميع نواحيها . وقد شملت هذه الآفاق - بجانب علوم الدين واللغة والأدب - التاريخ والأصول والفلسفة القديمة والحديثة والاجتماع والرياضيات والقانون والفرق والديانات .

انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة فى القرى والبلاد السورية مدة أربع سنوات فى العقد الأخير من القرن الماضى ، ثم رحل إلى مصر والتقى بالشيخ محمد عبده وزار المدينة المنورة . ولما عاد ألقى القبض عليه بتهمة الترويج لمذهب جديد فى الدين ثم أخلى سبيله فانقطع فى منزله للتصنيف وإلقاء الدروس العامة والخاصة ، ونشر الكثير من البحوث فى الصحف والمجلات إلى أن وافاه أجله فى ١٨/٤/١٩١٤م ودفن فى مقبرة الباب الصغير بدمشق .

٢ - مؤلفاته :

لقد كان القاسمى مؤلفا غزير الإنتاج رغم وفاته المبكرة إذ توفى وعمره لا يتجاوز الثامنة والأربعين . وقد ألف ما يقرب من مائة مؤلف فى مجالات عديدة . فبجانب مؤلفاته فى التفسير والحديث والأصول والتوحيد والآداب والأخلاق له مؤلفات فى تاريخ دمشق ، ورسالة فى الجن ، ورسالة فى الشاى والقهوة والدخان ، ومقالة عن القلب ، وغير ذلك من مجالات متنوعة تدل على أخذه بأطراف المعرفة من كل سبب ، لم يمنعه عن ذلك مخالفة فى الدين أو المذهب أو العقيدة أو الطريقة ، وأتاحت له حريته الفكرية أن يجول فى آثار عقول الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم . ومن أهم مؤلفاته :

١ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث .

٢ - موعظة المؤمنين (مختصر لإحياء علوم الدين للغزالى - وكان الشيخ محمد عبده هو الذى أشار عليه باختصار هذا الكتاب عندما كان القاسمى فى ضيافته بمصر عام ١٣٢١هـ) .
٣ - محاسن التأويل فى تفسير القرآن الكريم (فى سبعة عشر مجلدا) .
٤ - الفتوى فى الإسلام .
٥ - تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب .
٦ - جوامع الآداب فى أخلاق الأنجاب .
٧ - إصلاح المساجد من البدع والعوائد .
٨ - تعطير المشام فى مآثر دمشق الشام (فى أربع مجلدات) .
٩ - مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام فى الجن .
١٠- دلائل التوحيد .
١١ - إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد نشأ القاسمى فى ظل مفاهيم تحرير الفكر العربى الإسلامى والكشف عن جوهره الأصيل ، وقد تأثر القاسمى بقادة هذا الفكر ، فشق طريقه على درب المجددين ، وكان هدفه الأساسى يتمثل فى « الكشف عن جوهر الإسلام وتجليته وإزالة غشاء الجمود والتقليد والخرافات والبدعة عنه » . وعلى الرغم من أن القاسمى كان سلفى العقيدة فإنه فى فكره كان أبعد الناس عن التقليد . فقد كان يؤمن بالحرية ويقدسها ، ويحب

رجالها ، ويسعى إليها ، ويرى أن الإنسانية ملازمة للحرية . وقد عرف بين أقرانه منذ طفولته المبكرة بالتحرر من الأوهام ، وتقديسه لسلطان العقل وحرية الفكر ، وكان هذا سببا فى اضطهاده فيما بعد حيث اتهمه حساده بالاجتهاد وبإحداث مذهب جديد فى الدين أطلقوا عليه « المذهب الجمالى » ، فألقى القبض عليه وتم التحقيق معه فى هذه التهمة فردها وفندها فأخلى سبيله واعتذر إليه والى دمشق .

وكان القاسى يرى أن الدين مدرسة أخلاق يدعو إلى الوحدة لا إلى الفرقة والتنازع ، وأن العقل حجة الله البالغة . ومن أجل ذلك لا يمكن أن يأتى النقل بما يناقض العقل ، والعلماء متفقون على أنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تأويل النقل بالعقل . ومن هنا لا يجوز تعويق الفكر عن النظر والتأمل ، فإن الحقيقة بنت البحث والتحقيق . ومعرفة وجه الحق فى أى أمر من الأمور تتطلب معرفة كل جوانبه وتفصيل المتنازع فيه وتحليله والتحرر من الأحكام السابقة المبنية على التقليد أو التحزب أو التقية أو الحمية . فالحق ليس منحصرا في قول من الأقوال أو مذهب من المذاهب . وكثرة المجتهدين في الأمة نعمة من الله ، ودليل على حيوية الفكر فى الأمة . وليس الهدف من الإصلاح العلمى بالاجتهاد هو إضافة مذهب جديد إلى قائمة المذاهب القائمة والدعوة له على انفراده ، وإنما المراد هو إنهاض همم رواد العلم لمعرفة المسائل بأدلتها .

وكان القاسمى يقول : إنا فى الرأى مستقلون ولسنا بمقلدين ولا متحزبين . وقد دأب على مطالبة المسلمين بالاستقلال الفكرى طلبا للحق . وفى ذلك يقول حاثا المسلم على انتشال نفسه من وهدة التدنى الفكرى : « وفارق وهد التقليد إلى يفاع الاستبصار ، وتسنم أوج التحقيق فى مطالع الأنظار.. واجعل طلب الحق لك نحلة والاعتراف به لأهله ملة » .

وقد رفض القاسمى قول بعض الفقهاء عندما لا يفهمون أمراً من أمور الشريعة : « إنه أمر تعبدى لا يعقل معناه » ، واعتبر ذلك حجرا على العقول والأفهام التى ينبغى أن تنظر وتتأمل وتتدبر . فالفكر ينبغى أن يجتهد لاستنباط المعانى فجميع الأحكام المشروعة « معقولة المعنى » . وينطبق ذلك على الأصول والفروع .

وكان القاسمى يحترم آراء الفرق المختلفة وإن لم يتفق معها ، لأن الخطأ من شأن غير المعصوم . ومن ناحية أخرى كان يرفض إظهار الحق بالسباب والشتائم ، فهذا أسلوب لا يمكن أن يكون سبيلا صحيحا للانتصار للحق . ولم تتضمن كتبه على كثرتها ، وبعضها إنما وضع للرد على مخالفيه ، لفظا نابيا ، فقد كان يعتصم دائما بالنقاش العلمى ويلتزم بأدب الاختلاف . ويطلب القاسمى من الإنسان أن يكون على وعى بواجبه فى هذه الحياة . فإذا كان الله قد حباه بالعقل والإدراك فينبغى عليه أن ينهض للقيام بأداء دوره كاملا فى هذه الحياة . وألا يكون فى ذلك دون النبات . فإذا كان النبات يتطاول فلا يجوز أن يتقاصر

البشر . وينبغى على المرء أن يبذل كل ما فى وسعه لخدمة وطنه والارتقاء به والتفانى فى سبيله ، فإن حب الوطن من أمهات الفضائل .

وللقاسمى آراء رائعة فى الدولة وقوتها ، والوطن ، والسياسة ، والجهاد فى سبيل الله .. وقد دعا إلى تولية الأكفاء وإعطاء كل ذى حق حقه ، ووضع الأشياء فى مواضعها الصحيحة ، وتفويض الأعمال إلى القادرين عليها : « لأن من تتبع تواريخ الأمم علم أنه ما انقلب عرض مجدها إلا لتفويض الأعمال لمن لا يحسن القيام عليها ، ويضع الأشياء فى غير موضعها » .

وقد اهتم القاسمى بقضية التفرقة العنصرية ، ورفض التمييز بين الناس بسبب العنصر أو العرق أو اللون ، وأرجع منشأ الدعوة إلى هذا التمييز إلى الرغبة فى استعباد الزنوج .
وقد ربط فى اجتهاداته بين الإسلام ومتطلبات العصر ، فلم يحصر الإنفاق فى سبيل الله فى أمر الحرب فقط ، بل رأى أن ذلك يشمل أيضا الإنفاق على المشروعات العامة التى تعود على الأمة بالنفع مثل شراء الكتب لطلاب العلم ، وإصلاح الطرق ، وتعميم المدارس ، وإجراء الماء ، وإقامة المساجد . وفى مسألة تحريم التصوير يقول « إن المنهى عنه هو التصوير بقصد العبادة ، فإن انتفت فلا وجه للتحريم ، لأن الأصل فى الإسلام أن لا تحريم حيث لا ضرر » .

وقد كان القاسمى يقدر عامل الوقت تقديرا تاما جعله يستفيد من كل دقيقة من وقته . وكانت نفسه تمتلىء بالحسرة والأسى عندما يرى الجموع الغفيرة من الناس تكتظ بهم المقاهى وتضيع منهم أوقاتهم فيما لا طائل من ورائه . ويعبر عن حسرته تلك بقوله : « كم أتمنى أن يكون الوقت مما يباع لأشترى من هؤلاء جميعا أوقاتهم » .

٤ - مراجع :

لقد كتب العديد من العلماء والمفكرين مقالات عن جمال الدين القاسمى أشادوا فيها بفضله وعلمه وكفاحه ، ونخص منهم بالذكر الشيخ رشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، ومحمد بهجة البيطار وغيرهم (راجع على سبيل المثال تقديم هؤلاء العلماء لكتاب جمال الدين القاسمى : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث - دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبى - دون تاريخ) . وفضلا عن ذلك فقد كتب ابنه ظاهر القاسمى فصلا فى الكتاب المذكور للتعريف بوالده ، وقد فصل بعد ذلك ما أجمله فى هذا الفصل فى كتاب بعنوان : « جمال الدين القاسمى » - بيروت ١٩٦٦م . راجع أيضا ، مقدمة محقق موعظة المؤمنين للقاسمى - دار النفائس ١٩٨٦م ، وراجع كذلك : الأعلام للزركلى ج٢ - بيروت ١٩٧٩م ، وتراجم الأعلام المعاصرين فى العالم الإسلامى لأنور الجندى - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠م .

محمد الخضر حسين
(١٨٧٣ - ١٩٥٨)

١ حياته :

ولد الشيخ محمد الخضر حسين بمدينة نفطة فى جنوب تونس فى ٢٦ رجب ١٢٩٣هـ (١٨٧٣م) . وقد التحق بجامع الزيتونة بتونس عام ١٣٠٧هـ (١٨٨٧م) وحصل على شهادة التطويع عام ١٨٩٨م وهى شهادة تمكن حاملها من التطوع لإلقاء دروس فى جامع الزيتونة ، كما تؤهله للظفر بمناصب علمية أو دينية عديدة وبخاصة إذا كان صاحبها يتمتع بنبوغ وجد وسعة معرفة .

وفى عام ١٩٠٤م أنشأ أول مجلة عربية أدبية علمية فى شمال إفريقيا هى مجلة « السعادة العظمى » تولى عام ١٩٠٥م قضاء بلدة بنزرت ولكنه استقال بعد شهور قليلة وعاد للتدريس بجامع الزيتونة ثم بالمدرسة الصادقية . رحل إلى الشرق عام ١٩١٢م وأقام فى دمشق ، ورحل إلى الآستانة وبرلين . وفى عام ١٩٢٠م استقر فى مصر وحصل على الجنسية المصرية عام ١٩٣٢م وامتدت فترة إقامته فى مصر حتى وفاته . وفى مصر ظهرت قيمته العلمية وبرزت مكانته الثقافية .

وقد أسس عام ١٩٢٨م مع عدد من علماء الأزهر « جمعية الهداية الإسلامية » وكان أول رئيس لها ، وأصدرت الجمعية مجلة « الهداية الإسلامية » فى اكتوبر ١٩٢٨م ، وظلت تصدر شهريا إلى أن توقفت أثناء الحرب العالمية الثانية . وقد كان الشيخ محمدَ الخضر حسين مع صديقه الحميم تيمور باشا فى طليعة المؤسسين لجمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٨م . وعندما أصدر الأزهر مجلة نور الإسلام (مجلة الأزهر فيما بعد) عام ١٩٣٠م أسندت إليه رئاسة تحريرها - وقد تم اختيار الشيخ عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق عام ١٩١٩م ، وعضوا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى أول تشكيل له عام ١٩٣٣م ، وعين عضوا بجماعة كبار العلماء بالأزهر عام ١٩٥٠م . وقد تولى مشيخة الأزهر عام ١٩٥٢م واستقال منها عام ١٩٥٤م ، ولكنه ظل يمارس نشاطه العلمى حتى أخر لحظة فى حياته ، وكان أخر مقال نشر له فى عدد فبراير ١٩٥٨م من مجلة لواء الإسلام وهو الشهر الذى توفي فيه .

٢ - مؤلفاته :

للشيخ محمد الخضر حسين مؤلفات عديدة وأبحاث مختلفة من أهمها :

١ - القياس في اللغة العربية (١٩٣٤) - وبهذا البحث نال عضوية جماعة كبار العلماء .

٢ - الخيال في الشعر العربي (١٩٢٢) .

٣ - محمد رسول الله وخاتم النبيين (١٩٣٣) .
٤ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم (١٩٢٦) .
٥ - نقض كتاب فى الشعر الجاهلى (١٩٢٧) .
٦ - رسائل الإصلاح (فى ثلاثة أجزاء) ١٩٣٩ .
٧ - خواطر الحياة - ديوان شعر (١٩٤٦ ، ١٩٥٣) .
٨ - بلاغة القرآن (١٩٧١) .
٩ - القاديانية والبهائية .

وللشيخ بالإضافة إلى ذلك العديد من المقالات والبحوث فى موضوعات متنوعة نذكر منها : الحرية فى الإسلام ، حياة اللغة العربية ، العظمة ، الخطابة عند العرب ، علماء الإسلام فى الأندلس . ويُعد كتاباه فى « نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم » وفى « نقض كتاب فى الشعر الجاهلى » من أبرز الكتب التى كان لها أثرها فى ذيوع اسمه فى الأوساط العلمية والأدبية .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كان الشيخ صاحب غيرة دينية ونزعة إصلاحية معتدلة تجلت فى مقالاته وبحوثه ومؤلفاته . وقد اهتم فى مقالاته العديدة التى جمعت فيما بعد فى كتابه « رسائل الإصلاح » بمجالات الدين والأخلاق والاجتماع ، واهتم بصفة خاصة بالميدان الأخلاقى فركز على الخصال التى يجب أن يتحلى بها الفرد ، وبخاصة العالم ، وما يجب أن تتحلى به الجماعة حتى تسلم من التفكك والانحلال ، وتعرض لموضوع الإسلام والمدنية الحديثة

مبينا أهمية الدين فى المجتمعات الحديثة وضرورة عناية حكوماتها بنشره ، وأن تستمد قوانينها من تشريعه الواسع النطاق ، وهاجم « ضلالة فصل الدين عن السياسة » .

وقد كان الشيخ من دعاة الرابطة الإسلامية ، المدافعين عن نظام الخلافة ، ودعوة المسلمين إلى ضرورة المحافظة على هذا النظام ، لأن الإسلام دين ودولة . وكان من دعاة الاجتهاد ، وقد بين قيمته فى الشريعة الإسلامية مؤكدا على أن الشريعة الغراء تساير كل عصر وتحفظ مصالح كل جيل .

وانطلاقا من اقتناعه بضرورة نظام الخلافة للأمة الإسلامية رأيناه يدافع عنه بكل صلابة فى نقضه لكتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق .فقد ذهب الشيخ على عبدالرازق فى كتابه هذا إلى أن نظام الخلافة لا يمت إلى الدين الإسلامى بصلة ، إذ لم ينص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما أن وجوده فى هذا العصر لم يعد أمرا ضروريا نظرا لقيام حكومات إسلامية . وقد فند الشيخ الخضر حسين فى كتابه « نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم » ما جاء فى كتاب الشيخ على عبدالرازق فقرة فقرة بهدف أن « يميط اللثام عن وجه الصواب فى هذه المباحث الدينية والتاريخية » كما يقول .

ومن منطلق الغيرة الدينية أيضا رأينا الشيخ يرد على الدكتور طه حسين . فقد أصدر الدكتور طه حسين كتابه « فى الشعر الجاهلى » عام ١٩٢٦م وانتهى فيه إلى أن أغلب الأشعار الجاهلية لا تعبر عن واقع مجتمعهم ، وهى منتحلة

لأسباب دينية وسياسية وشعوبية ، وذهب إلى أن القرآن يُعد أصدق مرآة للعصر الجاهلى من الناحية اللغوية والاجتماعية والدينية . وقد استخدم الدكتور طه حسين فى بحثه منهج الشك الديكارتى مؤكدا أن « المستقبل لمنهج ديكارت لا لمنهج القدماء » .

وقد رد الشيخ الخضر حسين ردا تفصيليا على كل ما جاء فى كتاب الدكتور طه حسين مؤكدا أنه لا يعارض المؤلف فى انتهاج الأسلوب الذى يريد فى بحثه بشرط ألا يكون فى ذلك مساس بالدين الإسلامى وانحراف عن الحقيقة ، وبين أن منهج الشك ليس جديدا فقد ذهب إليه الغزالى وابن خلدون قبل ديكارت ، واتهم طه حسين بأنه أغار على نظرية المستشرق الإنجليزى مرجليوث فى الشعر الجاهلى التى نشرها فى مقال بمجلة الدراسات الآسيوية الملكية عام ١٩٢٥، ونسبها إلى نفسه .

وقد نال كتاب الشيخ الخضر حسين « نقض كتاب فى الشعر الجاهلى » تقدير عدد من علماء الإسلام المعاصرين والأدباء العرب البارزين فى ذلك الوقت لما اشتمل عليه من نقاش موضوعى ولما قدمه من حجج لغوية وتاريخية .

أما القصائد الشعرية للشيخ محمد الخضر حسين فإنها تكشف عن جانب آخر من جوانب ثقافية . وقد تناول الشيخ فى شعره أغراضا متنوعة أهمها الإخوانيات والقضايا الوطنية والسياسية والرثاء والوصف والوجدانيات والاجتماعيات والإسلاميات . ولكن شعره يخلو تماما من أغراض المدح والهجاء والغزل .

٤ - مراجع :

١ - من أهم ما كتب عن الشيخ محمد الخضر حسين الكتاب الذى ألفه (محمد مواعدة) بعنوان : « محمد الخضر حسين - حياته وآثاره » من نشر الدار التونسية للنشر عام ١٩٧٤ . ويقع الكتاب فى ٣٦٣ صفحة من القطع المتوسط ، ويشتمل هذا الكتاب أيضا على ملحق يقارب ثلث الكتاب يشتمل على ما كتبه الشيخ عن رحلاته إلى الجزائر ودمشق ورحلته الشرقية .

٢ - مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن من تأليف على عبدالعظيم - ج٢ القاهرة ١٩٧٩م .

٣ - الأزهر فى ألف عام للدكتور أحمد محمد عوف - سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر - أبريل ١٩٧٠م .

٤ - الشيخ محمد الخضر حسين عالم الزيتونة والأزهر . من تأليف أبو بكر عبد الرازق .

٥ - وقد كتب عن الشيخ أيضا محب الدين الخطيب فى مجلة الأزهر (الجزء الثامن من المجلد التاسع والعشرين - شعبان ١٣٧٧هـ) ، كما كتب عنه الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه « الحمد لله هذه حياتى » .

محمد مصطفى المراغى
(١٨٨١ - ١٩٤٥م)

١ حياتـه :

ولد الشيخ محمد مصطفى المراغى فى ٩ مارس ١٨٨١ فى بلدة المراغة بمديرية سوهاج ، وقد التحق بالأزهر بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم ، وتلقى العلم على كبار المشايخ ، واتصل بالإمام محمد عبده وانتفع بدروسه فى التاريخ والاجتماع وغيرهما من العلوم ، وتوثقت صلته به وسار على نهجه فى الإصلاح والتجديد . حصل على الشهادة العالمية عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) وكان الأول على زملائه وكان عمره آنذاك ثلاث وعشرون عاما وهى سن مبكرة بالنسبة إلى علماء الأزهر . تولى قضاء مديرية دنقلة بالسودان عام ١٩٠٤م بناء على ترشيح الشيخ محمد عبده ولكنه استقال عام ١٩٠٧ وعاد إلى مصر ، ثم عين عام ١٩٠٨م فى منصب قاضى القضاة فى السودان وظل فى هذا المنصب حتى عام ١٩١٩م . وكان شديد الاعتزاز بكرامته مستمسكا بالحق لا يحيد عنه . وبعد عودته إلى مصر تدرج فى مناصب القضاء إلى أن صار رئيسا للمحكمة العليا الشرعية عام ١٩٢٣م ثم عين شيخا للأزهر فى مايو ١٩٢٨م وهو فى السابعة والأربعين من عمره . وكان معنيا بإصلاح الأزهر ، فلما

وجد أن هناك عقبات كثيرة تحول بينه وبين الأهداف التى ينشدها استقال من منصبه فى اكتوبر ١٩٢٩م . وفى ابريل ١٩٣٥م أُعيد تعيينه شيخا للأزهر استجابة لنداءات كثير من الزعماء المصلحين والإضرابات العديدة التى قام بها الأزهريون مطالبين بعودة الإمام إلى الأزهر لتحقيق ما نادى به من إصلاح . وظل فى منصبه إلى أن توفى عام ١٩٤٥م . وقبل وفاته بأيام تعرض لمحنة قاسية ، فقد طَلَّقَ الملك فاروق زوجته الملكة فريدة ، وطلب من الشيخ المراغى فتوى تحرم عليها الزواج من بعده ، ورفض الشيخ فأرسل إليه الرسل يلحون عليه ، وكان يعالج بمستشفى المواساة بالإسكندرية فرفض الاستجابة ، فذهب الملك إليه بالمستشفى محتدا وطال بينهما الجدل فصاح المراغى قائلا : « إن المراغى لا يستطيع أن يُحرم ما أحل الله » . وانتكست صحة الشيخ بعد هذه المقابلة ولم يلبث إلا قليلا حتى وافاه الأجل المحتوم .

٢ - مؤلفاته :

لقد اشتملت مؤلفات الشيخ المراغى على برامجه الإصلاحية سواء فى الأزهر أو فى قوانين الأسرة بالإضافة إلى مؤلفاته ودروسه فى تفسير القرآن الكريم وبعض القضايا الفقهية واللغوية . ومن أهم مؤلفاته ما يلى :

١ - الأولياء والمحجورون : وهو بحث فقهى لا يزال مخطوطا بمكتبة الأزهر يتناول فيه موضوع الحجر على السفهاء والذين

يتولون أمورهم بعد الحجر . وقد نال الشيخ بهذا البحث عضوية هيئة كبار العلماء .

٢ - تفسير جزء تبارك : وهو أيضا لا يزال مخطوطا . وقد قصد به الشيخ أن يكون تكملة لتفسير جزء عمَّ للإمام محمدعبده .

٣ - بحث فى وجوب ترجمة القرآن الكريم - مطبعة الرغائب ١٩٣٦م .

٤ - رسالة بعنوان : « الزمالة الإنسانية » كتبها لمؤتمر الأديان فى لندن - مطبعة الرغائب ١٩٣٦م .

٥ - بحوث فى التشريع الإسلامى وأسانيد قانون الزواج رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م .

٦ - مباحث لغوية بلاغية .

٧ - دروس دينية نشرت بمجلة الأزهر تشتمل على تفسير لبعض سور القرآن الكريم . وقد ألقى الشيخ هذه الدروس فى المساجد الكبرى فى القاهرة والإسكندرية وحضرها الملك فاروق فى الفترة من عام ١٣٥٦هـ حتى ١٣٦٤هـ . وقد نشرت هذه الدروس أيضا فى كتيبات مستقلة .

٨ - مجموعة من المقالات والخطب - نشرت نماذج منها فى نهاية كتاب « الشيخ المراغى بأقلام الكتاب » .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كان الشيخ المراغى معنيا بقضية الإصلاح والتجديد مترسما فى ذلك خطى الإمام محمد عبده . وفى أثناء توليه عددا من المناصب القضائية الكبرى فى مصر فى الفترة ما بين عام ١٩١٩م وعام ١٩٢٨م . قام بالكثير من الإصلاحات الهامة وفى مقدمتها قانون الأحوال الشخصية . فقد شكل لجنة برياسته لتنظيم الأحوال الشخصية ووجه اللجنة إلى عدم التقيد بمذهب أبى حنيفة الذى كان معمولا به حتى ذلك الحين ، ولم يكن القضاة يحيدون عنه إلى مذهب آخر . ولكن المراغى رأى الأخذ بغيره من المذاهب إذا كان فيها ما يتفق مع المصلحة العامة للمجتمع . ومن بين توجيهاته للجنة قوله : « ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان ، وأنا لا يعوزنى بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم . إن الشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد فى تفريعاتها وأحكامها فى القضايا المدنية والجنائية كل ما يفيدنا وينفعنا فى كل وقت وما يوافق رغائبنا وحاجاتنا وتقدمنا فى كل حين ، ونحن فى ذلك كله ملازمون لحدود شريعتنا ... إن من ينظر فى أقوال الأئمة من مذهب أبى حنيفة... يجد التجديد فى الأحكام الشرعية ميسورا لنا ، ويجد بطلان الدوام لأحكام معينة وبقائها حيث يبقى الدهر من الأمور البدهية . ومعنى هذا أن المسائل الفقهية مادامت غير قطعية فهى قابلة بحكم الشرع للتجديد والتغيير » . ونتيجة لذلك

صدر قانون الأحوال الشخصية عام ١٩٢٠م وتوالت إصلاحات المراغى بعد ذلك فى هذا المجال .

وقد دعا المراغى إلى فتح باب الاجتهاد ، كما دعا إلى العمل على توحيد المذاهب الإسلامية بقدر الإمكان . وطالب الفقهاء بأن يترفقوا بالناس « وأن يراعوا قواعد اليسر التى هى أخص صفات الإسلام ولا يوقعوهم فى الحرج » .

وكما حاول التقريب بين المذاهب الفقهية حاول أيضا التقريب بين طوائف المسلمين . وبذل فى هذا السبيل بعض المحاولات حيث أجرى محادثات مع أغا خان فى عام ١٩٣٨م كانت ترمى إلى تكوين هيئة للبحث الدينى تستهدف توثيق الروابط بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم وإقامة نوع من التعاون بين الهيئات التعليمية فى البلاد الإسلامية . وتبسيط قواعد الدين الإسلامى وتعاليمه والتوفيق بين المسلمين مهما اختلفت مذاهبهم وفرقهم .

ولكن هذه المحاولات من جانب الشيخ لم تجد طريقها إلى التنفيذ ، ولكن لعلها هى التى دفعت إلى إنشاء « جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية » والتى تعثرت هى الأخرى وتجمد نشاطها بعد أن نشطت فترة من الزمان .

وفى مجال إصلاح الأزهر شكل فور توليه مشيخة الأزهر لجانا لإعادة النظرفى قوانين الأزهر ومناهج الدراسة فيه واهتم بالدراسات العليا واقترح إنشاء ثلاث كليات مدة الدراسة فيها أربع سنوات تتخصص إحداها فى علوم العربية والثانية فى

علوم الشريعة والثالثة فى علوم أصول الدين ، مع إنشاء أقسام للتخصص تنقسم إلى نوعين رئيسيين : نوع للتخصص فى المهنة ومدته سنتان ، ونوع للتخصص فى المادة (يعادل الدكتوراه الحالية) . وبالاضافة إلى ذلك تقسيم الدراسة فى المرحلة قبل الجامعية إلى مرحلتين : مرحلة ابتدائية مدتها أربع سنوات ومرحلة ثانوية ومدتها خمس سنوات . وقد صدرت بذلك القوانين التى تضمنت هذه الإصلاحات .

وقد شكل الشيخ المراغى لجنة للفتوى من كبار العلماء للرد على الأسئلة التى تتلقاها من الأفراد والهيئات فى مصر والعالم الإسلامى ، وغير اسم هيئة كبار العلماء إلى جماعة كبار العلماء واشترط فى أعضائها - بجانب الشروط القديمة - أن يكون العضو فيها من العلماء الذين لهم إسهام بارز فى الثقافة الدينية وأن يقدم رسالة علمية تتسم بالجدة والابتكار ، وجعل أعضاءها ثلاثين عضوا ، وأصبحت أكبر هيئة دينية فى العالم الإسلامى .

وقد دعا المراغى إلى ترجمة القرآن الكريم ، وقدم فى ذلك بحثا قيما قدمه إلى جماعة كبار العلماء . وقد ثارت ضجة كبرى حول هذه الدعوة ما بين مؤيد ومعارض ، وعلى الرغم من أن مجلس الوزراء قد وافق على المشروع فى ابريل عام ١٩٣٦م واعتمد له حينذاك عشرين ألف جنيه إلا أن الموضوع تعثر تنفيذه ويبدو أن الحكومة قد اضطرت إلى التراجع تحت ضغط المعارضين .

ومن المواقف العديدة المشرفة للمراغى أنه أعلن رأيه فى الحرب العالمية الثانية من فوق منبر مسجد الرفاعى : قائلا : « نسأل الله أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » . وقد أحدثت كلمته هذه ضجة كبرى هزت الحكومة المصرية ، وأقلقت الحكومة الإنجليزية ، فطلبت بيانا من الحكومة المصرية فاتصل رئيس الوزراء بالإمام المراغى وخاطبه بلهجة حادة فقال له الشيخ : « أمثلك يهدد شيخ الأزهر ؟ وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة ، ولو شئت لارتقيت منبر مسجد الحسين وأثرت عليك الرأى العام ، ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب » ، وهدأت العاصفة لأن الإنجليز أرادوا أن يتفادوا الصدام مع الشيخ .

وقد أنشأ قبل وفاته بشهر واحد مراقبة خاصة للبحوث والثقافية الإسلامية بالأزهر تختص بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية والبعوث العلمية والدعاة .

٤ - مراجع :

١ - مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن - تأليف على عبدالعظيم - ج٢ - القاهرة ١٩٧٨م .

٢ - المجددون فى الإسلام - تأليف عبد المتعال الصعيدى - القاهرة ١٩٦٢م .

٣ - الأزهر فى ألف عام للدكتور أحمد محمد عوف - من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٠م .

٤ - دائرة المعارف الإسلامية - مادة الأزهر - المجلد الثالث طبعة دار الشعب .
٥ - تراجم الأعلام المعاصرين - تأليف أنور الجندى - مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٧٠م .
٦ - تاريخ الإصلاح فى الأزهر للشيخ عبد المتعال الصعيدى (جزءان) - مكتبة الاعتماد - بدون تاريخ .

مصطفى عبد الرازق
(١٨٨٥ - ١٩٤٧)

إن الاحتفال بذكرى الشيخ مصطفى عبد الرازق له معناه الكبير في حياتنا المعاصرة ، وليس مما ينقضى مع الأيام أو تحصره المناسبة ، ذلك أننا مازلنا فى أشد الحاجة إلى الاستفادة من الدروس العظيمة التى نستخلصها من حياته وفكره . فهى ليست تاريخا مضى وانقضى ولكنها دروس حية متجددة ما يزال نورها يضىء رغم مرور نصف قرن على وفاة الشيخ الجليل .

وإذا كان الاحتفال بعظمائنا يعد واجبا على الجهات المعنية تقديرا لما قدموه من عطاء لبلادهم فإن التعريف بهم يعد فى الوقت نفسه حقا للأجيال الجديدة على هذه الجهات . ونحن بهذه المناسبة نحيى المجلس الأعلى للثقافة على اهتمامه البالغ بتذكير هذه الأجيال بعظمائنا ورواد نهضتنا لأن ذلك من شأنه أن يساعد شبابنا على تصحيح مساره ، وترشيد تفكيره ، وجعله أقدر على الإسهام فى بناء وطنه وتقدمه وازدهاره .

وأول ما يسترعى الانتباه فى حياة الشيخ مصطفى عبدالرازق هو ذلك الرباط القوى المبكر الذى كان يربط بين الشيخ محمد عبده والشاب مصطفى عبد الرازق . فالشاب الطموح كان يجمع كل ما يكتبه الشيخ ويلتهمه التهاما ويدرك تماما رسالة الشيخ محمد عبده الإصلاحية . وقد تمثل ذلك فى قصيدة استقبل بها الإمام محمد عبده عام ١٩٠٥ وجاء فى مطلعها :

أقبل عليك تحية وسلام *** يا ساهرا والمسلمون نيام

والشطر الثانى من هذا البيت يوضح لنا ما كان يؤمن به مصطفى عبد الرازق - ولم تكن عمره حينذاك تزيد على عشرين عاما - وما يكنه من مشاعر للشيخ الإمام ، وتقدير لجهوده فى إيقاظ المسلمين والنهوض بهم . وقد استمر هذا التقدير للشيخ محمد عبده ملازما لمصطفى عبد الرازق حتى نهاية حياته . وقد دفعه ذلك حينما كان فى باريس إلى ترجمة رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده إلى الفرنسية بالاشتراك مع صديق له من المستشرقين ، مما يؤكد لنا أن مصطفى عبد الرازق كان امتدادا أصيلا للأستاذ الإمام محمد عبده - رحمهما الله - .

وإذا قلنا إن مصطفى عبد الرازق يعد امتدادا لمحمد عبده فإن ذلك يعنى الكثير .. إنه يعنى تواصل جهود التنوير والإصلاح على المستويات الدينية والفكرية والاجتماعية . وقد نهض مصطفى عبد الرازق بهذه المهمة الجليلة نهوضا يحسب له كمفكر مستنير يعكس الطبيعة الصافية للإسلام .

أما الشيخ محمد عبده فإنه من جانبه قد توسم فى الشاب مصطفى عبد الرازق كل معانى الخير . وقد عبر عن ذلك بما كتبه له قائلا : « ما سررت بشىء سرورى أنك شعرت فى حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك . ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء ما يملأ عليك الفضاء . ولكنى أكتفى بالإخلاص فى الدعاء أن يمتعنى الله فى نهايتك بما تغرسته فى بدايتك » . وقد تحققت نبوءة الأستاذ الإمام فى الشاب مصطفى عبد الرازق .

أما الأمر الثانى الجدير بالذكر فى حياة مصطفى عبد الرازق فهو صلته بالثقافة الغربية . تلك الصلة التى أطلت به على عالم جديد فى الفكر وفى السلوك وفى التقدم والرقى . فراح يغترف من العلم ما استطاع . وفى الوقت نفسه كان يقلقه أشد القلق ما عليه المجتمع المصرى من تخلف . ومن أجل ذلك كان يستنهض الهمم للعمل والوصول بالبلاد إلى أعلى درجات الرقى والتقدم . ويعبر عن ذلك بقوله :

« أنا استبطىء سيرنا فى سبيل التقدم ، وأتوق إلى رؤية مصر حرة راقية تلعب دورها فى العالم . وكم أتمنى أن أُلقى فى قلب كل مصرى شعلةً من هذا القلق الذى عندى ، لأن شعورنا جميعا بالحاجة إلى الرقى هو الذى يسرع خطواتنا إليه » .

ولأن العمل من أجل رقى البلاد يتأسس على حب البلاد ، فقد كان ينادى بحب النيل كما يحب الأوربيون الأنهار التى يتدفق ماؤها فى بلادهم . ولم يكن يقصد من هذا الحب مجرد التعبير

عن تلك العواطف الدفينة فى النفوس ، بل كان يمهد الأرض لترجمة هذا الحب إلى عمل نافع للوطن وللمواطنين كما فعل ويفعل أهل أوربا من العمل المتواصل لرقى بلادهم .

ومن ناحية أخرى مكنته صلته بالثقافة الغربية من الاطلاع على ما يقوله الغرب عن الشرق فحفزه ذلك إلى البحث فى جذور الفكر الإسلامى ، مما استطاع به تصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة عن التراث الإسلامى والعقلية الإسلامية . وبحكم الثقافة المتنوعة للشيخ مصطفى عبد الرازق فقد اتجه إلى التوفيق بين القديم والجديد وبين الشرق والغرب . وهذا ما عبر عنه المرحوم الدكتور مدكور بقوله فى عبارته الجميلة بدلالتها البالغة : إنه قرب الأزهر من السوربون .

وهو من غير شك الذى مهد الطريق لمن تقلدوا مشيخة الأزهر فيما بعد ولغيرهم من أبناء الأزهر للدراسة فى السوربون . وكان منهم الدكتور عبد الرحمن تاج ، والدكتور محمد الفحام ، والدكتورعبدالحليم محمود ، والدكتور محمد عبدالله دراز ، ومحمد يوسف موسى ، وعفيفى عبد الفتاح وغيرهم . فكانت له الريادة فى هذا المجال بعد أن كانت قد بعدت الشقة بين الأزهر وأوربا منذ رفاعة الطهطاوى .

أما الأمر الثالث الذى نود أن نشير إليه فى هذا المقام فهو ريادته لدراسة الفلسفة الإسلامية . فإليه يرجع الفضل فى جعلها علما يدرس فى الجامعات . وقد ضم إليها علم الكلام

والتصوف وأصول الفقه . وكل من جاء بعده فى مجال الفلسفة الإسلامية مدين له بالكثير سواء اتفق معه فى الرأى أم كان مخالفا له . فهو الإمام فى هذا المجال بلا جدال وصاحب مدرسة لها بصماتها الواضحة فى الدراسات الفلسفية الإسلامية فى مصر وفى العالم العربى .

وكتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » سيظل نبعاً فياضا لكل الباحثين فى الفكر الإسلامى . ولم يكن الدكتور مدكور مجافيا للصواب حين قال عنه إنه رئيس مدرسة وإمام جيل .

أما الأمر الرابع الجدير بالذكر فيتمثل فى أن مصطفى عبد الرازق كان رجل مبادىء ورجل قيم تجسدت فيه الفضائل والأخلاق الرفيعة ، وشهد بذلك كل من عرفه من قريب أو بعيد . فقد كان يعتقد أن ثمة شيئا فوق العلم وفوق الفن . وهذا الشىء هو ما يطلق عليه اسم الأخلاق . وقد كان سلوكه تطبيقا عمليا رائعا لكل ما يؤمن به من قيم نبيلة ، الأمر الذى يضعه فى مقدمة المصلحين الأخلاقيين وكبار المجددين للفكر وللسلوك على السواء .

ومن خلال هذه النظرة السريعة على بعض السمات التى تميز مصطفى عبد الرازق نشعر أننا مازلنا فى حاجة إلى نشر وإذاعة هذا العطاء الثرى بين شبابنا للاستفادة من هذه الدروس الرائعة وللسير على نفس الدرب من أجل رفعة بلادنا ورقيها حتى تأخذ مصر مكانها اللائق بها بين الأمم .

مرة أخرى أحيى المجلس الأعلى للثقافة وأحيى أمينه العام الأخ الأستاذ الدكتور جابر عصفور الذى جعل من المجلس الأعلى للثقافة شعلة مضيئة من النشاط الدائب والعمل الثقافى الجاد الذى ستكون له ثماره الطيبة إن شاء الله ، كما نقدم التحية أيضا للجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة على مبادراتها وجهودها من أجل إحياء ذكرى أعلام الفكر الفلسفى فى مصر .

محمد حسين هيكل (١)
(١٨٨٨ - ١٩٥٦م)

لقد حظى النصف الأول من القرن العشرين بنهضة ثرية فى مجالات الأدب والسياسة والفكر والفن . وكان من العلامات المميزة للعديد من كبار مثقفى تلك الفترة تنوع ثقافتهم وتعدد اهتماماتهم فى توازن وانسجام . وهكذا وجدنا بعض هؤلاء إذا كتب فى الأدب فهو الأديب المبدع ، وكأنه ليس له اهتمام آخر غير الأدب ، ولكنه فى الوقت نفسه إذا كتب فى الفكر أو السياسة أو الفن كانت له نفس المكانة . ومن هؤلاء الأعلام كان محمد حسين هيكل الذى كانت شخصيته متعددة المواهب والاهتمامات ، ولذلك شغل العديد من المستشرقين والباحثين فى الشرق وفى الغرب الذين اهتموا بالبحث فى تكوينه الثقافى ومقومات شخصيته والتيارات الفكرية التى تأثر بها ومدى تأثيره فى الثقافة العربية بصفة عامة وفى الثقافة المصرية بصفة خاصة .

---

(١) كلمة أُلقيت فى حفل افتتاح الندوة الدولية التى عقدها المجلس الأعلى للثقافة (١٤/١٢/١٩٩٦م) احتفاء بذكرى الدكتور محمد حسين هيكل .

ومن المعروف أن محمد حسين هيكل كان رائد كتاب الرواية العربية ، ولكنه كان فى الوقت نفسه مهتما بقضايا الفكر والفلسفة ، كما كان له باع طويل فى التراجم والسير ، وكان علما بارزا من أعلام السياسة على المستويين النظرى والعملى ، وكان مع ذلك كله غزير الإنتاج فى الإسلاميات ، كما كان بالإضافة إلى ذلك رائدا له مكانته فى تاريخ الصحافة العربية فى مصر .

أما تكوينه الثقافى فقد جمع بين الثقافتين العربية والغربية وامتزجتا فى أعماقه فى توازن وانسجام ، وبرهن بذلك على سطحية من يرى أن التعمق فى الثقافة الغربية يؤدى إلى اغتراب المثقف العربى . لقد أدى ذلك بهيكل إلى فهم أعمق لحضارته العربية الإسلامية ونظرة أرحب وأفق أوسع .

فمؤلفات هيكل فى التراجم والسير الإسلامية ترسم صورة واضحة لتطوره الفكرى وتبين أنه لم يتخل عن أصول حضارته العربية الإسلامية .

وكما كتب هيكل بإعجاب عن بعض الشخصيات الغربية مثل روسو فإنه فى الوقت نفسه قد كتب بانبهار شديد عن حياة محمد وأبى بكر وعمر وعثمان . ولكنه ينبه فى هذا الصدد إلى أن كتابته فى هذا الجانب ليست بحثا دينيا محضا « كما قد يظن بعضهم ، بل الغاية أن تعرف الإنسانية كيف تسلك سبيلها إلى الكمال الذى دلها محمد على طريقته » .

وهنا يريد أن يكشف عن الحقائق الإسلامية الصحيحة فى مواجهة التشويه الذى ألحقه بالإسلام أناس ، إما جاهلون بتعاليمه أو متعصبون لا يريدون أن يروا الحقائق واضحة جلية . ولكنه فى الوقت نفسه يرفض مغالاة المغالين من المسلمين الذين أضافوا إلى سيرة الرسول وصحابته أمورا غير معقولة تسىء إليهم . وهكذا سار فى كتابته على الطريقة العلمية التى يرى أنها أسمى ما وصلت إليه الإنسانية فى سبيل تحرير الفكر .

وتبرز كتابات هيكل الأصالة المصرية التى كان يعتز بها كل الاعتزاز . فبعد أن رشف من كل الثقافات وتسلح بأمضى الأسلحة العلمية عاد يقلب النظر ويمعن الفكر فيما يمكن أن يكون مقومات أساسية للشخصية المصرية المتفتحة على كل جديد مفيد ، ولكنها فى الوقت نفسه لديها وعى أصيل بالتاريخ يحميها من أخطار القطيعة الثقافية التى يمكن أن تفصلها عن جذورها الضاربة فى أعماق التاريخ ، تلك الجذور التى إذا قطعت تاهت معالم هذه الشخصية . وهذا ما كان يسعى إليه الاستعمار لإضعاف الروح المعنوية حتى تظل البلاد مرتعا خصبا للاستعمار والمستعمرين .

فهيكل إذن أحد الرواد العظام الذين شقوا طريق الاستنارة أمام جماهير الأمة ، باعثا فيهم الوعى بالتاريخ للمحافظة على أصالة الشخصية المصرية . وفى ذلك يقول : « لقد نشأت فى مصر الحضارة الأولى وعليها تقلبت كل الحضارات والأديان

التى تبعتها ... وهذه الحضارات التى تعاقبت على مصر تأثرت كلها إلى حد بعيد بالحضارة المصرية القديمة ، أثرت فيها ، ولا تزال آثارها باقية إلى اليوم ، لا فى البرديات والمقابر وكفى ، بل فى نفوسنا نحن الذين ورثنا هذه الحضارة » .

ويعترف هيكل بما للرواد السابقين عليه من فضل ، ويشير إلى أنه قد كان للكثير من مقالات الشيخ محمد عبده فى العروة الوثقى مع أستاذه أبلغ الأثر فى نفسه .

ولعل هذا التأثر بمحمد عبده كان وراء رفض هيكل للخصومة المصطنعة بين العلم والدين ، واعتبر أنها خصومة بين رجال الدين ورجال العلم بعيدة فى أساسها كل البعد عن الدين والعلم ، وترتكز على حرص كل طائفة على الاستئثار بالسلطة .

وقد كتب هيكل فى هذا الصدد العديد من المقالات التى جمعت فى كتابه عن « الإيمان والمعرفة والفلسفة » . ويلح هيكل على نفى التناقض بين الدين لذاته والعلم لذاته .

وفى جانب آخر يلاحظ هيكل أن مصر لا تزال تتأرجح بين العقليتين العربية والغربية ، هذا التأرجح الذى يحدث - كما يقول - حينا بعد حين - ويثير الكثير من المناقشات الحادة التى تؤثر تأثيرا واضحا فى الاتجاهات العامة فى مصر ، ويعبر عن أمل الكثيرين فى التوصل إلى صيغة تؤدى إلى اندماج العقليتين ، غير أنهم - كما يقول - لم يصلوا بعد إلى ما يريدون . ولكننا نستطيع أن نقول إن هيكل نفسه قد نجح فى

التوصل إلى هذا الدمج المأمول فى شخصه بين هاتين العقليتين . ومن هنا يُعد نموذجا يحتذى .

والواقع أن هذه القضية التى أثارها هيكل فى هذا الصدد لا تزال قائمة حتى اليوم ، مع أنه لم يعد فى مقدور شعب من الشعوب أن يعزل نفسه عما يدور فى هذا العالم . فالتشابك بين الحضارات والتداخل بين الثقافات أصبح من الأمور التى لا يمكن تجاهلها أو الوقوف فى طريقها .

ومن القضايا التى اهتم بها هيكل ونبه الأذهان إليها قضية الدور الذى لعبه شعب مصر فى كل ما مر به من أحداث . ففى مذكراته فى السياسة يلاحظ « أنه كثيرا ما نسى المؤرخون نصيب الشعب المصرى فى توجيه الحوادث التى مرت به واكتفوا بذكر الوقائع الحربية التى شهدتها موانىء مصر وأراضيها ، ولو أنهم ذكروا مواقف الشعب من هذه الحوادث لحكموا بأنه كان صاحب الأثر الحاسم فى النتائج التى انتهت إليها .

تلك كانت بعض الأمثلة من مواقف هيكل وجهوده التنويرية فى مجالات عديدة . ولسنا هنا بطبيعة الحال فى مجال تفصيل القول فى جهود محمد حسين هيكل . فهذا ما سوف تتكفل به بحوث هذه الندوة ، ولكننا أردنا فقط أن نشارككم فى الاحتفال بمحمد حسين هيكل الذى هو جدير بكل الحفاوة والتقدير وبكل الإجلال والإكبار .

والمأمول أن تنتفع أجيالنا الجديدة بما خلفه هيكل وأقرانه من تراث فكرى وأدبى غنى بالرُّؤى المضيئة والأفكار المستنيرة حتى تتزود بما تحتاج إليه من زاد فكرى فى مسيرتها ، وبذلك تكون قادرة على الانطلاق نحو البناء الحضارى من أجل خير الإنسان فى مصر وفى الوطن العربى . وعندئذ ينتفى التعصب الأعمى ويزول العنف الجهول ويختفى الإرهاب ويحل محل ذلك التسامح والإخاء والمحبة ولا يكون هناك مكان للجمود أو الانغلاق .

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الاستنارة العقلية والدينية . ولا شك أن محمد حسين هيكل له بصمات لا تمحى فى هذا المجال . وإننا إذ نذكر مآثره العظيمة فى احتفالية المجلس الأعلى للثقافة ، فإننا لعلى يقين من أن الغرس الذى غرسه هو ورواد نهضتنا المعاصرة سيؤتى ثماره وأن الأجيال الجديدة لن تنسى مآثر هؤلاء العظام . وأعظم تكريم لهم هو نشر فكرهم المضىء فى مختارات للشباب .

عباس محمود العقاد
(١٨٨٩- ١٩٦٤)

لقد كان العقاد نموذجا فريداً وكوكباً لامعاً فى سماء الحياة الفكرية فى مصر لأكثر من نصف قرن . وقد استطاع أن يكون نفسه تكوينا ذاتيا عن طريق قراءاته المتنوعة منذ طفولته ، وخاض فى مختلف الفنون والآداب والفلسفات والأديان . ولكنه لم يكن فى يوم من الأيام أسيراً لما يطالعه فى بطون الكتب قديمها وحديثها ، بل كان محتفظاً باستقلاليته الفكرية التى لم تتأثر بالأسماء اللامعة أو البريق الذى يخطف الأبصار . فقد كان يبحث دائما عن الجوهر ويغوص فى أعماق الأفكار باحثاً ومنقباً معتمداً على فطرته السليمة وبصيرته النافذة فى التمييز بين الخبيث والطيب من الأفكار ، وخاض العقاد معارك فكرية كثيرة متسلحا بشجاعة منقطعة النظير جعلته يسبح فى بحر متلاطم الأمواج بعزيمة لا تعرف الضعف وإرادة حديدية لا تلين . فقد كان يعرف طريقه جيداً لا يصده عنه شىء مهما كلفه ذلك من تضحيات ، معتزاً بفكره وباستقلال شخصيته اعتزازاً فائقاً حتى وهو لا يزال تلميذاً صغيراً فى المدرسة الابتدائية .

ومن المعروف أن العقاد قد كتب فى كل مجالات الآداب والفنون ، وكان فى كل مجال يكتب فيه عميق الفكر ثاقب

النظر كما لو أنه متخصص فى هذا المجال أو ذاك دون غيره . فقد كتب - من بين ما كتب - فى الفلسفات والأديان فرأى الكثير مما لم يره غيره ، وكشف عن أمور لم يكن يهتم بها الكثيرون .

والحديث عن العقاد حديث متشعب الجوانب ومتعدد المسالك نظراً لما للعقاد من ثقافة موسوعية شاملة .

ولسنا هنا بطبيعة الحال فى مجال الحديث عن كل ما كتب العقاد . ولكننا نود الإشارة فقط فى هذا المقام إلى جانب هام من جوانب فكره ، نرى أنه ذو أهمية بالغة بالنسبة لحياتنا الفكرية المعاصرة . فقد خصص العقاد جانباً كبيراً من فكره وإنتاجه للإسلاميات . فكانت عبقرياته العديدة التى كتبها معبرة عن عبقريته الفذة ، وكانت تراجمه ودراساته الإسلامية إسهاماً حقيقياً فى تنوير الأذهان وتثقيف العقول بزاد فكرى يهدف إلى إزالة الغشاوات عن البصائر والأبصار ، وتعبيد الطريق أمام العقل ليأخذ مكانه اللائق به فى مسيرة الحياة .

وكأنى بالعقاد حين كتب إسلامياته كان يدرك ما سوف يطرأ على المجتمع من ظواهر فكرية شاذة ، تنحو نحو التطرف فى الفكر وفى فهم الدين ، وتميل إلى التعصب الأعمى محاولة فرض الرأى بالعنف لا بالإقناع بالحجة والبرهان ، وكأنه قد أحس بأننا مقبلون على موجة تطرف تلغى عقل الإنسان باسم الدين . ومن هنا وضع فى اعتباره فى كل كتاباته الإسلامية أمرين هامين :

أولاً : تقديم الصورة الصحيحة للإسلام المبنية على صحيح الدين وصريح العقل لينير بذلك الطريق أمام أبناء الأمة كى ينطلقوا دون عوائق إلى آفاق التقدم والازدهار .

ثانياً : تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام فى الفكرالغربى ، تلك الصورة التى تكونت نتيجة تراكمات كثيرة من سوء الفهم عبر قرون عديدة .

وكلا الأمرين - كما نعرف جميعاً - لا يزالان حتى اليوم من المطالب الملحة . فنحن فى أشد الحاجة إليهما لنعيد الصواب إلى بعض شبابنا الذين ضلوا الطريق ، ونحصن الفريق الآخر ضد حملة الشعارات البراقة المتسترة وراء الدين والدين منها برىء . ومن ناحية أخرى لازلنا فى أشد الحاجة أيضاً لتصحيح صورة الإسلام فى الخارج تلك الصورة التى ازدادت اليوم تشويهاً أكثر من أى وقت مضى بسبب عوامل كثيرة ومتعددة .

وقد كانت كتابات العقاد الإسلامية كتابات مستنيرة تتسم بالإقناع والموضوعية ، تخاطب العقل وتقضى على الخرافة . وقد شدد العقاد على ذلك مبيناً أن استخدام العقل وتحكيمه يعد فريضة إسلامية لا تقل أهمية عن أية فريضة أخرى فى الدين ، وخصص لذلك كتاباً جعل عنوانه « التفكير فريضة إسلامية » ، ليزيل غشاوة التقليد الأعمى عن العقول ويشق للعقل طريقه لإثراء الحياة بالعلم . فالدين عقل فاعل يخدم الحياة وليس مجرد شعائر تؤدى دون فهم وإدراك لمراميها البعيدة .

لقد كتب العقاد فصول هذا الكتاب - كما يشير إلى ذلك - «عسى أن يكون فيها جواب هاد لأناس من الناشئين يتساءلون: هل يتفق الفكر والدين ؟ وهل يستطيع الإنسان العصرى أن يقيم عقيدته الإسلامية على أساس من التفكير ؟ .

ويجيب العقاد بالإيجاب على كل من هذين السؤالين (١) .

ومما لا شكل فيه أن تمكين العقل من أداء دوره كاملا كفيل بوضع حد لكل شكل من أشكال التطرف وكفيل أيضاً بتجفيف منابع التطرف . وفى المقابل نجد أن الغاء دور العقل من شأنه أن يفسح المجال واسعاً أمام هجمة التطرف الشرسة وما يتبع هذا التطرف من تعصب وعنف وإرهاب .

إن تكريمنا للعقاد واحتفالنا بفكره وما قدمه من عطاء أمر جليل له أهميته البالغة ، ولكن الأمر الأكثر أهمية هو العمل على نشر هذا الفكر على نطاق واسع ، فهذا هو التكريم الحقيقى . ولعل إصدار نشرات شعبية لمختارات من مؤلفاته يكون رمزاً للتعبير عن هذا التكريم من ناحية ، ومن ناحية أخرى من شأنه أن يثرى حياتنا الفكرية التى أصابها الجمود فى كثير من جوانبها .

إن ذاكرة الأمة فى حاجة مستمرة ومتجددة إلى تنشيط متواصل عن طريق إثرائها بما قدمه عظماء الأمة من عطاء وفير فى شتى المجالات حتى تسير الأجيال المتعاقبة على الدرب تبنى

---

(١) راجع : المجلد الخامس من موسوعة العقاد الإسلامية ص٨٢٩ ، ٨٩٧ ، ٩٧٣ - بيروت ١٩٧١ .

وتعمر مادياً ومعنوياً ، ترتقى بالحياة وترتقى الحياة بها من أجل خير الإنسان وسعادته .

رحم الله العقاد وأجزل له الثواب ، ونفع الأمة بعلمه وفضله .

محمود شلتوت
(١٨٩٣ - ١٩٦٣)

١ - حياتـه :

ولد الشيخ محمود شلتوت فى منية بنى منصور مركز إيتاى البارود بمحافظة البحيرة عام ١٨٩٢م . وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد الإسكندرية الدينى . حصل على شهادة العالمية من الأزهر عام ١٩١٨ ، وكان أول الناجحين فيها . عين مدرسا بمعهد الإسكندرية الدينى عام ١٩١٩ ، ثم نقل فى عهد الشيخ المراغى (شيخ الأزهر حينذاك) مدرسا بالقسم العالى بالأزهر ، وكان من مؤيدى الشيخ المراغى فى اتجاهاته لإصلاح الأزهر ، وأعلن ذلك فى مقالاته فى جريدة السياسة اليومية . وعندما استقال الشيخ المراغى بعد المعارضة القوية لحركته الإصلاحية فصل الشيخ شلتوت من منصبه فى عهد الشيخ الظواهرى ، فعمل بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية . وفى فبراير ١٩٣٥م أعيد إلى عمله بالأزهر وعين مدرسا بكلية الشريعة ، ولما عاد المراغى شيخا للأزهر عينه وكيلا لكلية الشريعة .

وقد اشترك الشيخ شلتوت - ممثلا للأزهر-فى مؤتمر القانون الدولى المقارن بمدينة لاهاى فى هولندا عام ١٩٣٧،وقدم

للمؤتمر بحثا عنوانه « المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية » . وقد عين عضوا بجماعة كبار العلماء عام ١٩٤١ ، وعضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٦ ، ومراقبا عاما للبحوث والثقافة بالأزهر عام ١٩٥٠ ، ومستشارا للمؤتمر الإسلامى ووكيلا للأزهر عام ١٩٥٧ ، ثم عين شيخا للأزهر عام ١٩٥٨ ، وظل فى هذا المنصب حتى وفاته عام ١٩٦٣ .

وقد كان الشيخ شلتوت محل تقدير فى العالم الإسلامى ، وزار عددا من البلاد الإسلامية ومنحته عدة دول الدكتوراه الفخرية وأوسمة الشرف تقديرا لعلمه وفضله واعترافا بمنزلته الرفيعة ومكانته السامية .

٢ - مؤلفاتــه :

تحظى مؤلفات الشيخ شلتوت بالانتشار الواسع فى شتى أنحاء العالم العربى والإسلامى ، ولا تزال حتى الآن يعاد طبعها فى فترات زمنية متقاربة ، وقد طبع بعضها للمرة السادسة عشرة . وأهم هذه المؤلفات ما يلى :

١ - الإسلام عقيدة وشريعة - دار الشروق ١٩٩٠ (الطبعة السادسة عشرة) .

٢ - من توجيهات الإسلام - دار الشروق ١٩٨٧ (الطبعة الثامنة) وقد جاء العنوان الفرعى لهذا الكتاب على النحو التالى : « تصحيح بعض المفاهيم الدينية - توضيح موقف الإسلام من بعض المشاكل - الأخلاق الإسلامية - ضروب من العبادات » .

٣ - تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى - دار الشروق ١٩٨٨ (الطبعة الحادية عشرة) .

وهذا التفسير ليس مثل التفاسير المعتادة للقرآن والتى تفسر القرآن آية آية ، وإنما هو تفسير عام يلجأ إلى إبراز جوهر كل سورة وما تهدف إليه مفصلا القول فى بيان أبرز القضايا التى اشتملت عليها السورة .

٤ - الفتاوى : دراسة لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية العامة - دار الشروق ١٩٩١ (الطبعة السادسة عشرة) .

وللشيخ شلتوت بالإضافة إلى ذلك بحوث أخرى أهمها : « المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية » . وقد نال بهذا البحث عضوية جماعة كبار العلماء . وله أيضا : الإسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب .

وفضلا عن ذلك كان الشيخ شلتوت صاحب نشاط ملحوظ فى الحياة الثقافية الدينية عن طريق العديد من المحاضرات التى كان يلقيها فى المنتديات العامة ، والأحاديث الإذاعية ، والمقالات الكثيرة فى الصحف والمجلات .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كان الشيخ شلتوت عالما مجددا واسع الأفق ، يدعو إلى الحرية المذهبية الصحيحة المستقيمة على نهج الإسلام ، وكان يرفض العصبية الضيقة والتعصب الأعمى لمذاهب فقهية معينة . وكان يتطلع إلى تحقيق الوحدة الإسلامية بعد أن تفرق

شمل المسلمين ومزقتهم العصبيات الجنسية والفروق المذهبية والخلافات الطائفية ، فبدأ جهاده فى « جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية » . وقد كان متحمسا أشد التحمس لدعوة التقريب التى قال عنها : « إن دعوة التقريب هى دعوة التوحيد والوحدة ، هى دعوة الإسلام والسلام ... لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم وأسهمت منذ أول يوم فى جماعتها وفى وجوه نشاط دارها بأمور كثيرة » . ومن هنا أصدر فتواه الشهيرة - عندما كان شيخا للأزهر - بجواز التعبد على المذهب الفقهى للشيعة الإمامية ، وهو المذهب الجعفرى ، كسائر مذاهب أهل السنة وقال : « ينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته تابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى ، يجوز - لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد - تقليدهم والعمل بما يقررونه فى فقههم ، ولا فرق فى ذلك بين العبادات والمعاملات » .

وقد كان الشيخ شلتوت فى طليعة المنادين بالتجديد والإصلاح فى الأزهر ، ويعد من ألمع الناشئين فى مدرسة الشيخ محمد عبده والشيخ المراغى والشيخ عبد المجيد سليم ، فقد حمل راية الإصلاح والتجديد من بعدهم ، وطالب « بأن يعاد النظر فى مناهج الأزهر وكتبه على الوجه الذى تعبر به تلك الكتب والمناهج عن النهضة الحديثة » ، وقال إن الذى نريده يعد انقلابا ، ولكنه انقلاب محبب إلى النفوس الغيورة على ماضيها

المتطلعة إلى مستقبلها . وقد وجدت دعوته آذانا صاغية من قادة الثورة حينذاك فصدر قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١ فى عهد مشيخته للأزهر .

وقد دعا الشيخ شلتوت فى تفسيره للقرآن الكريم إلى ضرورة تجنب أمرين فى التفسير وقع فيهما الكثيرون وكان ينبغى أن يظل القرآن بعيدا عنهما . الأمر الأول هو استخدام آيات القرآن لتأييد الفرق والمذاهب فى المجتمع الإسلامى ، والتنافس فى العصبيات السياسية والمذهبية ، حيث امتدت أيدى أصحاب الفرق المختلفة إلى القرآن يؤولون آياته لتتوافق مع مذاهبهم أو يخرجونها عن بيانها الواضح لكيلا تصلح لمذاهب خصومهم ، وبذلك جعلوا القرآن تابعا بعد أن كان متبوعا ومحكوما عليه بعد أن كان حاكما . أما الأمر الثانى فهو استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية الحديثة من القرآن . ويرى الشيخ شلتوت أن هذا اتجاه خاطىء فى تفسير القرآن لعدة أسباب : أولها : أن القرآن أنزله الله ليكون كتاب هداية للناس ، وليس كتابا يتحدث إليهم عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف ، وثانيها : أن هذا الاتجاه يحمل أصحابه والمغرمين به على تأول القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم ، وثالثها : أنه يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير . فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات - فلو طبقنا القرآن على

هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها ، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا فى الدفاع عنه . ويشير الشيخ شلتوت فى هذا الصدد إلى أنه « حسبنا أن القرآن لم يصادم - ولن يصادم - حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول » .

وقد كان الشيخ شلتوت فقيها مجتهدا صاحب رأى ، وله فتاوى جريئة فى المعاملات المالية التى لم تكن معروفة لدى الفقهاء السابقين . فقد أفتى بجواز الأرباح المحددة بنسب للأسهم فى الشركات التعاونية ، وقال إن هذه الشركات تعد نوعا جديدا من الشركة أحدثه أهل التفكير فى طرق الاقتصاد والاستثمار ، وليس فيه ظلم لأحد أو استغلال لحاجة أحد ، كما أباح الأرباح المحددة التى تدفعها مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة لديها فى صناديق التوفير ، ورأى أن هذا الربح لا يعد من الربا المحرم . فقد قصد بهذا الإيداع حفظ مال المودع من الضياع ، وتعويد نفسه على التوفير والاقتصاد من ناحية ، ومن ناحية أخرى قصد به إمداد المصلحة بزيادة رأس مالها ليتسع نطاق معاملاتها وتكثر أرباحها فينتفع العمال والموظفون وتنتفع الحكومة بفاضل الأرباح . وقد بين الشيخ شلتوت أن الربا المحرم هو الربا الذى « حُدِّد بالعرف الذى نزل فيه القرآن بالدَّين يكون لرجل على آخر فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر : أخِّر دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك (وهو الربا أضعافا مضاعفة) فنهاهم الله عنه فى الإسلام » . وهذا النوع

من الربا ينطوى على ظلم عظيم واستغلال فاحش لحاجة الفقير . (الفتاوى ص ٣٤٨ - ٣٥٤) .

٤ - مراجـع :

يراجع فيما تقدم مؤلفات الشيخ شلتوت وبصفة خاصة كتاب الفتاوى وتفسيره للقرآن الكريم . وذلك بالإضافة إلى المراجع التالية :

١ - مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن من تأليف على عبدالعظيم - ج٢ - القاهرة ١٩٧٩ .

2) Wolf - Dieter Lemke : Mahmud Saltut und die Reform der Azhar . Verlag Peter D . Lang , Frankfurt 1980 .

3) Die Azhar, Saih Saltut and die Schia, Von Werne Ende, Freiburg (XXIV . Deutscher Orientalistentag- Franz Steiner Verlag Stuttgart 1990.) .

عبد المتعال الصعيدى
(١٨٩٤ - حوالى ١٩٥٨)

١ - حياتــه :

لقد كتب الشيخ عبد المتعال الصعيدى نبذة عن تاريخ حياته فى كتاب : « تاريخ الإصلاح فى الأزهر » ج١ ص ٩٠ وما بعدها وص ٢١٤ وما بعدها . وقد ولد فى كفر النجبا التابع لمركز أجا مديرية الدقهلية فى أواسط عام ١٨٩٤م (١٣١٢هـ) وبعد ولادته بشهر واحد مات والده فكفلته والدته ، حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية والتحق بالجامع الأحمدى بطنطا . وكان بجانب قراءته فى الكتب الأزهرية شديد الشغف بمطالعة كل ما تظهره المطبعة من كتب الأدب والفلسفة وغيرها ، وكان أيضا حريصا على مطالعة المجلات العلمية والأدبية والجرائد اليومية . حصل على الشهادة العالمية عام ١٩١٨ ، وعين مدرسا بالجامع الأحمدى (المعهد الدينى بطنطا) . وقد ألف كتابا بعنوان « نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف » ينقد فيه ما يراه من قصور وجمود فى هذا النظام . ولكنه لم يشأ أن ينشر الكتاب إلا بعد مضى خمس سنوات على تعيينه فى التدرس لعلمه بما

سيثيره هذا الكتاب من سخط عليه فى بيئة « ألفت الجمود أقوى إلف » كما يقول (ص ٩٤) . وقد أثار الكتاب عند نشره سخط المدرسين بمعهد طنطا الدينى وطالبوا شيخ المعهد بعقاب المؤلف بالفصل من الوظيفة . وقد عاقبه مجلس إدارة المعهد بخصم خمسة عشر يوما من مرتبه مع أن ما دعا إليه قد تحقق الكثير منه فيما بعد . ومن جانب آخر لقى المؤلف تأييدا من بعض المشايخ المعدودين مثل الشيخ يوسف الدجوى والشيخ على سرور الزنكلونى والشيخ على محفوظ والشيخ مصطفى الغاياتى .

وفى أوائل الثلاثينيات عين مدرسا بكلية اللغة العربية ، وكان له باع طويل فى الدعوة إلى إصلاح الأزهر ، وقد أثبت ذلك فى الكثير من المقالات التى نشرها فى العديد من الصحف المصرية .وهو يعد نفسه مؤرخ الإصلاح فى الأزهر (ج٢ ص١٢) . وعند قرب إحالته إلى التقاعد كتب فى خاتمة الجزء الثانى من كتابه « تاريخ الإصلاح فى الأزهر » تلخيصا لجهاده على مدى أربعين عاما فى سبيل إصلاح الأزهر وما لاقاه فى سبيل ذلك من عنت واضطهاد .

وقد توفى قرب نهاية العقد السادس من هذا القرن .

٢ - مؤلفاته :

لقد كان الشيخ عبد المتعال الصعيدى غزير الإنتاج متعدد الاهتمامات ومن أهم مؤلفاته ما يأتى :

١ – المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر . وهو أكبر أعماله العلمية . ويقع فى أكثر من ستمائة صفحة . يؤرخ فيه لحركة التجديد فى الإسلام .

٢ – تاريخ الإصلاح فى الأزهر وصفحات من الجهاد فى الإصلاح « جزءان » .

٣ – الحرية الدينية فى الإسلام .

٤ – نقد كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

٥ – الوسيط فى تاريخ الفلسفة الإسلامية .

٦ – توجيهات نبوية .

٧ – القضايا الكبرى فى الإسلام .

٨ – تجديد علم المنطق فى شرح الخبيصى على التهذيب .

٩ – النظم الفنى فى القرآن .

١٠– شباب قريش فى بدء الإسلام .

١١– لماذا أنا مسلم ؟

٢ – أراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كان الشيخ عبد المتعال الصعيدى يعد نفسه من المجاهدين فى سبيل الإصلاح والتجديد مترسما فى ذلك خطى كل من جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، حيث رأى منذ كان شابا يافعا أن أقوم طريق لنهضة المسلمين هو الطريق الذى دعيا إليه . وقد صرح بذلك فى أكثر من موضع من مؤلفاته .

وقد كانت فكرة التجديد بالمعنى الشامل مسيطرة على تفكيره . فالإسلام نهضة دينية ومدنية معا ، ولا يقتصر الأمر فيه على ما يصلح الآخرة وحدها ، بل يدخل فيه ما يصلح الدنيا أيضا ، بل إن العبادات أيضا يقصد منها فى الأكثر أمور تعود علينا بالمصلحة فى دنيانا قبل أن تعود علينا بشىء فى أُخرانا .

وهكذا نجد أن فهمه للتجديد « يراد منه النهوض الدينى والمدنى ، وهو يتعدى من المسلمين إلى من يعاصرهم ، كما حصل من قيام النهضة الأوربية بتأثير النهضة الإسلامية » .

ومن هذا المنطلق نجده فى بحثه عن تاريخ المجددين فى الإسلام يدرسه على أنه تاريخ نهوض المسلمين فى أمور دنياهم قبل أن يكون نهوضهم فى أمور أُخراهم ، ولهذا لا يهتم فيه من المجددين إلا من يعمل لهذه الغاية .

ويختم هذا الكتاب بدعوة المسلمين إلى « أن يزيلوا من نفوسهم فكرة المهدى المنتظر وأن يضعوا بدلها فكرة المجدد المنتظر لينهض بهم فى هذا الزمان ويصير بالناس إلى عهد السلام والوئام » .

والمجدد عنده ينبغى أن يكون بعيدا عن التعصب الممقوت « فلا محل للتعصب فى باب التجديد والمجددين ... فلا يصح أن يكون لمذهب (المجدد) فى الدين أثر فى غايته من التجديد ... بل يجب أن ينظر فى دعوته إلى المسلمين جميعا ، فلا يميز فريقا على فريق ، ولا يقصد بالتجديد فرقة دون فرقة ، بل يسعى فى خير المسلمين جميعا » (ص ١٦) .

وينتقد الصعيدى مفهوم التجديد لدى رشيد رضا ، ويعيب عليه جنوحه كثيرا إلى مدرسة ابن تيمية ، الأمر الذى جعله يكره التأويل ويطعن فى المشتغلين بالفلسفة من فلاسفة المسلمين .

ويرى الصعيدى أن جنوح رشيد رضا إلى مدرسة ابن تيمية وجعله إمام المجددين فيما بعده من القرون يخالف مفهوم الإصلاح الذى كان يدعو إليه ، ويقلد فيه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، والذى يقوم على أساس الجمع بين علوم الدين والدنيا على الطريقة الأوربية » . وهذه الطريقة تناصر الفلسفة وعلومها ، لأن حضارة أوربا لم تقم إلا على أساس هذه العلوم ، ومن يذهب فى الإصلاح الحديث ذلك المذهب لا يصح أن يكون ابن تيمية إماما له فيه ، لأنه كان رجعيا فى هذه الناحية ، بل يكون الأجدر بالاقتداء فى هذا الإصلاح الحديث من السابقين ابن رشد الحفيد لأنه هو الفيلسوف الفقيه الذى جمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وآخى بين الدين والفلسفة . ولو قامت مدرسة بعده واستمرت كما استمرت مدرسة ابن تيمية لكنا أسبق إلى النهضة الحديثة من أوربا ولم نقع فى الجمود الذى وقعت فيه مدرسة ان تيمية » (ص ٥٤٣ وما بعدها) .

وكان الشيخ الصعيدى يكره الجمود الدينى فى الأزهر والذى يرجعه إلى أسباب منها : التقيد فى العقائد بمذهب الأشعرية ، وثانيها : التقيد فى الفروع بالمذاهب الأربعة المشهورة ، وثالثها : أخذ العلماء بعقوبات على أمور غير محدودة ،

ورابعها : المبالغة فى تقديس أسلافنا وعلومهم « فيجب أن يقضى على هذه الأسباب التى أدت بنا إلى ذلك الجمود العلمى والدينى لتتسع عقول أهل الأزهر للبحث والنقد ، ولا نقابل كل رأى جديد بالإنكار والاعتراض ، ويكون هذا بأن يطلق لهم الحرية فى اختلاف الفرق الإسلامية فى العقائد ، وفى اختلاف المذاهب الفقهية فى الفروع ، وبألا يكون عليهم مثل تلك العقوبات التى تحد من حريتهم وتجعل للرؤساء سلطة واسعة عليهم ، وبأن نقتصد فى تقديس أسلافنا وعلومهم ، ولا نهاب أخذهم بالنقد النزيه ، ووضع علومهم موضع البحث والتمحيص » . (تاريخ الإصلاح فى الأزهر ج١ ص ١٧٦ وما بعدها) .

وفى كتاب « الحرية الدينية فى الإسلام » يشير إلى أنه قد أتى فيه باجتهاد خطير فى موضوع الحرية الدينية إذ أثبت فيه أن الحرية الدينية فى الإسلام عامة فى دعوة غير المسلم الذى لم تبلغه دعوة الإسلام ، وفى دعوة من بلغته واستجاب له ثم ارتد عنه » (ص٣) . ويوضح وجهة نظره التى يحاول البرهنة عليها بالعقل والنقل ، والتى يذهب فيها مذهبا يخالف فيه كل علماء المسلمين قائلا (ص ٨٨) : « وهذا مذهب انفردت به فى حكم المرتد ولم يسبقنى إليه أحد أصلا » . ويتلخص مذهبه فى القول بأن « المرتد لا يكره على الإسلام بقتل ولا بسجن ولا بنحوهما من وسائل الإكراه ، وإنما يدعى إلى العودة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة كما يدعى غيره ممن لم يسبق له إسلام بهذه الوسيلة أيضا ، فإن أجاب فبها ، وإلا لم يكن جزاؤه

إلا العقاب على ردته فى الآخرة . وقد نفى الإكراه على الدين نفيا عاما صريحا فى قوله تعالى فى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة :

«لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى...» .

وهذا نفى للإكراه مطلقا فيجب أن يدخل فيه من أسلم ثم ارتد ، كما يدخل فيه من لم يسلم أصلا (ص ٧٢ ، ٧٣) . وقد رد عليه الشيخ عيسى منون فى مقالات نشرها بمجلة الأزهر حينذاك (عدد شوال ١٣٧٤هـ وعدد شعبان ١٣٧٥هـ) .

٤ - مراجـــع :

من مؤلفات الشيخ عبد المتعال الصعيدى :

١ - المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر - مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٦٢م .

٢ - تاريخ الإصلاح فى الأزهر - جزءان - الطبعة الثانية - مطبعة الاعتماد بمصر (د . ت) .

٣ - الحرية الدينية فى الإسلام - دار الفكر العربى - الطبعة الثانية (د . ت) .

٤ - شباب قريش فى بدء الإسلام - دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٦٠ .

محمد أبوزهرة
(١٨٩٨ - ١٩٧٤)

١ - حياته :

ولد الشيخ محمد أحمد أبو زهرة فى ١٨٩٨/٣/٢٩ بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر . تعلم فى البداية فى الكتاب والمدرسة الأولية والمدارس الراقية حيث أتم حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادىء العلوم المدنية كالرياضيات والجغرافيا بالإضافة إلى العلوم العربية ، ثم التحق بالجامع الأحمدى بطنطا عام ١٩١٣م ومكث فيه ثلاث سنوات . وقد لفت إليه انتباه الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأحمدى (الذى أصبح شيخا للأزهر فيما بعد) لما كان يتميز به من نبوغ وتفوق ، فاقترح له مكافأة مالية ومعاملة خاصة .

وفى عام ١٩١٦ التحق أبو زهرة بمدرسة القضاء الشرعى بعد اجتيازه امتحان مسابقة كان الأول فيها على المتقدمين رغم فارق السن . وفى هذه المدرسة تم تكوينه العلمى فقضى فيها أربع سنوات فى القسم الثانوى وخمس سنوات فى القسم العالى وتخرج فيها عام ١٩٢٥ ، ويعد من آخر جيل تخرج فى هذه المدرسة حيث تم إلغاؤها بعد ذلك .

ثم عمل بالمحاماة تحت التمرين ، وحصل على دبلوم دار العلوم عام ١٩٢٧ - وبعد ذلك عين مدرسا للشريعة واللغة العربية بتجهيزية دار العلوم ثم بالمدارس الثانوية العامة . وفى عام ١٩٣٣ عين مدرسا للخطابة والجدل وتاريخ الديانات والملل والنحل بكلية أصول الدين ، ثم نقل عام ١٩٣٤ مدرسا بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ، واستمر فى سلك التدريس إلى أن أصبح أستاذا ورئيسا لقسم الشريعة بها . وقد أحيل الى التقاعد عام ١٩٥٨م ، وعين عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٦٢ . وظل يقوم بالتدريس فى كلية الحقوق بعد تقاعده إلى أن صدرت أوامر عليا إلى الجامعة بمنعه من التدريس . وقد توفى فى ١٩٧٤/٤/١٢ .

٢ - مؤلفاته :

للشيخ أبى زهرة إنتاج علمى غزير . وقد وصل عدد الكتب والبحوث التى ألفها حوالى ثمانين كتابا وبحثا . ومن أهم مؤلفاته ما يأتى :

١ - الخطابة : أصولها وتاريخها فى أزهر عصورها عند العرب .

٢ - القرآن المعجزة الكبرى .

٣ - تاريخ الجدل .

٤ - محاضرات فى الديانات القديمة .

٥ - محاضرات فى النصرانية .

٦ - تاريخ المذاهب الإسلامية .

٧ - الأحوال الشخصية .

٨ - أصول الفقه .

٩ - الجريمة فى الفقه الإسلامى .

١٠- فلسفة العقوبة فى الفقه الإسلامى .

١١- تنظيم الإسلام للمجتمع .

١٢- العلاقات الدولية فى الإسلام .

١٣- الاجتهاد .

١٤- العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم .

١٥- سلسلة مؤلفات عن عدد من أعلام الفكر الإسلامى فى جوانبه المختلفة بيانها كما يلى : أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى ، ابن حنبل ، الإمام زيد ، الإمام الصادق ، ابن حزم ، ابن تيمية ، الغزالى ، ابن خلدون ، الزمخشرى ، ابن جرير الطبرى ، الفخر الرازى ، الحسن البصرى ، أبو الحسن الأشعرى .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كان الشيخ أبو زهرة طول حياته يعشق الحرية ، ويجهر برأيه الذى يقتنع به لا يخشى فى ذلك لومة لائم أو بطش سلطان . ويقول عن نفسه عندما كان لا يزال يحفظ القرآن فى الكتاب : « كنت أشعر وأنا فى المكتب (الكتاب) بأمرين ظهرا فى حياتى من بعد :

الأمر الأول : اعتزازى بفكرى ونفسى حتى كان يقال عنى إنى طفل عنيد صاحب رأى .

الأمر الثاني:أنى كنت أتضايق من السيطرة وأعشق الحرية .
ولعل الأمرين متلازمان ، لأن الاعتزاز بالنفس يتولد عنه بغض السيطرة » .

وقد جرَّت عليه جرأته فى الجهر برأيه غضب السلطة فصدرت قرارات فى الستينيات بحرمانه من التدرس فى الجامعة وإلقاء دروسه ومحاضراته فى المنتديات العامة ودور العبادة ومن التحدث فى الإذاعة والتليفزيون والكتابة فى الصحف .

وقد كان أبو زهرة مصلحا اجتماعيا ينقد أخطاء المجتمع والحكم ، وله مواقف شجاعة من قضية الشورى ، وضرورة المحافظة على دستور الأمة ، ورفضه الشديد للحكم الفردى والاستبداد السياسى .

وقد اهتم الشيخ أبو زهرة بتاريخ الديانات منطلقا فى دراسة الأديان من منطلق العقل قائلا : « لأعرف ما فيها من قضايا ما يتفق مع حكم العقل وتستسيغه الأفكار ، وما لا يقبله العقل ، بل يلفظه كما يلفظ اللسان مسيخ الطعام وما تمجه الأذواق » .

وإذا كان قد درس الديانات الوضعية والسماوية من منطلق عقلى فقد راح أيضا يدرس المذاهب الإسلامية دراسة موضوعية بروح علمية متجردة بعيدة عن منطق التحمس الأعمى أو التعصب الذميم - ويشهد بذلك كتابه « تاريخ المذاهب الإسلامية » . وقد كتب عن بعض أئمة الشيعة فى إنصاف مثل

كتابه عن الإمام الصادق وكتابه عن الإمام زيد مرتفعا بذلك فوق الخلافات المذهبية العقدية بين السنة والشيعة . ويعبر عن ذلك فى كتابه (الإمام الصادق) بقوله : « كتبناه بروح من الحق الثابت وقصدنا بكتابته أن نقرب ولا نفرق » .

وقد اهتم الشيخ أبو زهرة اهتماما كبيرا بمعالجة قضايا المجتمع على أسس إسلامية ، وقد عنى لذلك بعقد المقارنات بين تنظيم الإسلام للمجتمع وما كانت تشتمل عليه النظم الأخرى قبل الإسلام من تنظيم للمجتمع ، كما عنى برسم الخطوط وتوضيح المعالم للمجتمع الإسلامى وبيان طرق الشريعة فى معالجة أدوائه .

ومن بين الأمور الكثيرة التى وجه إليها سهام نقده فى المجتمع نقده لما يسمى « بيت الطاعة » مشيرا إلى أنه ليس هناك فى الإسلام شىء اسمه بيت الطاعة ، ولكن الذى فيه هو « بيت الزوجية » الذى يضم الزوجين ليعيشا فيه بمقتضى عقد الزواج عيشة متعاونة رائدها العدل والإنصاف .

وامتدادا لدعوة جمال الدين الأفغانى للوحدة الإسلامية يؤكد الشيخ أبو زهرة على هذا الجانب مخصصا كتابا كبيرا للوحدة الإسلامية ، داعيا إلى « نبذ كل الأسباب الداعية إلى الفرقة ، والإخلاص فى الدعوة إلى الوحدة الإسلامية الحقيقية التى يكون أساسها إحياء اللغة العربية وجعلها لغة الثقافة والتفاهم بين المسلمين ، وتوحيد السياسة والحرب بإنشاء جامعة إسلامية تكون قادرة على محو العنصرية بين كافة المسلمين » .

وكان الشيخ حريصا على تحديد المفاهيم وتوضيح مدلولاتها حتى لا تختلط فى أذهان الناس ، وقد كان ذلك واضحا فى كتابه عن تاريخ الجدل وفى كتاباته الأخرى . وكان يرى أن علم أصول الفقه لا يحتاجه طالب الحقوق لفهم الشريعة فقط ، بل يحتاجه أيضا ليفهم القوانين نفسها حق الفهم ، لأنه علم يبين دلالات الألفاظ ويضع الضوابط والمقاييس للأخذ منها عند توافقها وعند تعارضها فى ظواهرها ، فهو منهاج قويم لفهم معانى الألفاظ القانونية .

وفى حين يعترف الشيخ أبو زهرة بأهمية الاجتهاد بوصفه فرض كفاية - كما قرر المذهب الحنفى - وأن الواقع العملى يبين لنا أن باب الاجتهاد المطلق قد أغلق فى القرن الرابع الهجرى ، فإنه يعتقد أنه كان من المصلحة الإسلامية إغلاقه نظرا لفساد الحكم منذ غزو التتار والصليبيين حتى لا يكون هناك مجال للعلماء الذين يرضون الحكام بأن يسهلوا لهم كل شىء عن طريق الفتوى .

٤ - المراجع :

لقد كتب الكثيرون مقالات عديدة عن الشيخ أبو زهرة فى مختلف الصحف والمجلات فأشادوا بفضله وعلمه وشجاعته . وقد أراد الأستاذ أبو بكر عبد الرازق أن يسهل على القارىء الاطلاع على معظم ما كتب عن الشيخ فجمعه وضمنه أحد أجزاء كتابه عن أبى زهرة . وقد جاء هذا الكتاب فى أجزائه الثلاثة على النحو التالى :

الجزء الأول : أبو زهرة إمام عصره - حياته وأثره العلمى - دار الاعتصام ١٩٨٥ .

الجزء الثانى : أبو زهرة فى رأى علماء العصر - دار الاعتصام ١٩٨٦ .

الجزء الثالث : أبو زهرة وقضايا العصر - دار الفضيلة - دبى ١٩٨٨ .

محمد غلاب
(١٨٩٩ - ١٩٧٠)

---

١ - حياتـه :

ولد محمد غلاب حوالى عام ١٨٩٩ فى بلدة بنى خالد التابعة لمركز ملوى بمحافظة أسيوط بمصر . التحق بالأزهر عام ١٩١٧ وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام ١٩٢٤ ، ثم التحق بالجامعة المصرية ، وانتسب لمدرسة الحقوق الفرنسية . سافر إلى فرنسا عام ١٩٢٦ وحصل على دكتوراه فى الآداب من جامعة ليون عام ١٩٢٩ ، وعاد إلى مصر فى العام نفسه ، واشتغل بالصحافة وأنشأ مجلة النهضة الفكرية عام ١٩٣٠ ، واشترك فى تحرير مجلة الأزهر . وفى عام ١٩٣٢ عمل بالتدريس بكلية أصول الدين بالأزهر ، واستمر فى عمله هذا أستاذا للفلسفة حتى بعد إحالته إلى التقاعد عام ١٩٥٩ . وقد توفى فى ١٩٧٠/٧/٢٦ .

٢ - مؤلفاتـه :

للدكتور محمد غلاب إنتاج علمى غزير ومتنوع يدل على مدى ما كان لديه من اهتمامات متعددة - ومن أهم مؤلفاته

نشير بصفة خاصة إلى المؤلفات التالية :

١ - الفلسفة الشرقية .

٢ - الفلسفة الإغريقية (جزءان) .

٣ - الفلسفة العامة .

٤ - الأخلاق النظرية .

٥ - الفلسفة الإسلامية فى المغرب .

٦ - مشكلة الألوهية .

٧ - مبادىء وقيم إسلامية .

٨ - نظرات استشراقية فى الإسلام .

٩ - المعرفة عند مفكرى المسلمين .

١٠- إخوان الصفا .

١١- الخصوبة والخلود فى إنتاج أفلاطون .

١٢- ينابيع الفكر الإسلامى .

١٣- من أخلاق الإسلام .

١٤- أيام خالدة فى تاريخ الإسلام .

١٥- مشكلات الساعة فى مجتمعنا .

١٦- المذاهب الفلسفية العظمى فى الفلسفة الحديثة .

١٧- دراسات معاصرة عن الإسلام والمسلمين .

١٨- من صهاريج المعرفة فى الشرق والغرب .

١٩- من أماجد مفكرى المسلمين : الفارابى وابن سينا .

٢٠- هذا هو الإسلام .

وللدكتور غلاب بالإضافة إلى ذلك العديد من الترجمات من الفرنسية إلى العربية فى الأدب والفلسفة ، ونخص بالذكر من بينها ما يلى :

١ - تاريخ الفلسفة لإميل بريهييه .

٢ - تيارات الفكر الفلسفى الفرنسى .

٣- الأدب الهلينى .

٤ - الآداب الأوربية الحديثة .

٥ - الفلاحون .

٦ - الضحية .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد اهتم الدكتور غلاب بدراسة تاريخ الفكر الإنسانى الفلسفى فى مراحله المختلفة وخصص لتاريخ الفلسفة الإغريقية كتابا من جزئين . ويرجع اهتمامه بالتأكيد على ضرورة دراسة تاريخ الفلسفة الإغريقية بصفة خاصة إلى ما يراه من أن « العلوم الإسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان وأفكار اليونان ، بل وعلى أوهام اليونان ... فصار هذا التاريخ والحالة هذه كالمقدمة الضرورية لتاريخ التمدن الإسلامى لا يسع أحدا من هذه الأمة إهماله ، ولا طالب الحكمة جهله » . (الفلسفة الإغريقية ج١ ص ١١) .

ولكن الدكتور غلاب لا يريد أن يفهم أحد من ذلك أن الفلاسفة المسلمين كانوا مجرد مقلدين أو مترجمين للفلسفة

الإغريقية ، أو أنهم قد اكتفوا بالتعليق والشرح لهذه الفلسفة . فمثل هذا الفهم يُعد فى رأيه بعيدا عن الصحة بعد الوجود عن العدم . فقد كان فلاسفة الإسلام « فلاسفة بأسمى ما فى هذه الكلمة من معان ، قد فهموا تلك الفلسفة (الإغريقية) أعمق الفهم .... ووضحوا منها ما غمض ، وبسطوا ما تعقد ، وأناروا ما أظلم ، وبرهنوا على ما أعوزه البرهان » . ولم تعد مذاهب فلاسفة الإغريق - بعد أن درسها العرب - كما كانت حين وضعها أصحابها ، فقد قام الفلاسفة المسلمون بإصلاحها وتحليلها وتعليلها وتحويرها ، ووجهوا إلى شروحها وتعليقاتها الإغريقية والإسكندرية نقدا عميقا بصيرا بأدق الشئون الفلسفية . وأضافوا إلى ذلك عناصر جديدة ذات قيمة أساسية استخلصوها من المبادىء القرآنية .

ويصور الدكتور غلاب علاقة فلاسفة المسلمين بالفلسفة الإغريقية تصويرا أكثر وضوحا بقوله : « إن الحقيقة الناصعة هى أن فلاسفة الإسلام لم يزيدوا على أنهم استعاروا من أساتذتهم الإغريق أدوات النظر الفكرى كالمنطق .... كما استعاروا عناصر فلسفتهم الطبيعية ومبادىء فلسفتهم العليا أو ما بعد الطبيعة ، وما إلى ذلك من الأسس التى أعدها أولئك الفلاسفة العظماء من الإغريق خير إعداد ، ووجد فلاسفة الإسلام أنها لا تتعارض مع العقيدة فعضوا عليها بالنواجذ ، واستفادوا منها أعظم استفادة ممكنة . ولكن الذى لا سبيل إلى الشك فيه أن القرآن هو المنبع الرئيسى الذى انتهل منه أولئك الأعلام

رحيق الحكمة العالية . فالقرآن هو أول كتاب سماوى فرض تعلم الفلسفة عل أتباعه فرضا وأوجب عليهم التفكير فى أسرار الكون وخفايا الوجود » . (المعرفة عند مفكرى المسلمين ص٦- ٨) .

ويعتقد الدكتور غلاب أن من خصائص « العقلية الشرقية » المقدرة على قبول المظهرين المتعارضين من منبع واحد دون شعور بالتنافر الطبيعى المتأصل بينهما . ويدلل على ذلك بأن فلاسفة الإسلام لم يقلقهم إسناد التنسك المستفيض الوارد فى كتاب الربوبية إلى أرسطو مع علمهم التام باتجاهه الواقعى المعتمد على الحسن اعتمادا لا هوادة فيه . وقد استساغوا صدور هذه المتناقضات الواضحة من أرسطو دون أن يثير ذلك لديهم شيئا من الضيق أو الارتباك بصرف النظر عما أبداه الفارابى من ريبة باهته سرعان ماخاب وميضها أمام سلطان أرسطو . ولكن الدكتور غلاب يستدرك ويقول : إن هذه الظاهرة كانت فى الفلسفة المغربية أقل منها فى الفلسفة المشرقية ، ويعلل ذلك بأن « نشوء النقد واضطرام شعلة المعارك العقلية بين المفكرين كانا من أسباب هذه اليقظة وذلك الاحتياط » . (الفلسفة الإسلامية فى المغرب ص ٩ - ١٠) .

ولم يقتصر اهتمام الدكتور غلاب على مجالى الفلسفة القديمة والفلسفة الإسلامية ، بل امتد ليشمل الفلسفة الحديثة ، وأراد بذلك « توطيد دعائم الصلة بين ثقافتنا وبين الفلسفة الحديثة حتى نبرهن على أننا نحيا لأنفسنا وفى عصرنا ، لا

للأقدمين وفى عصورهم كما يقال عنا » (المذاهب الفلسفية العظمى ص ٣) .

وبجانب اهتمامه بتاريخ الفلسفة بصفة عامة اهتم أيضا بصفة خاصة بدراسة بعض القضايا الفلسفية فخصص لمشكلة المعرفة عند مفكرى المسلمين كتابا كبيرا ، كما خصص لمشكلة الألوهية كتابا مستقلا تناول فيه هذه المشكلة من وجهات النظر الاجتماعية والعقلية والروحانية ، أى من منطلق منتجات الفكر الإنسانى ليبين كيف كانت رحلة هذا الفكر فى عصوره المختلفة ولدى الشعوب المختلفة حول هذه القضية .

ومن بين الاهتمامات العديدة للدكتور غلاب اهتمامه بالدراسات الاستشراقية . ولكنه يوسع من دائرة مصطلح المستشرقين فيدخل فيه كل الباحثين الغربيين الذين تناولوا الإسلام من قريب أو من بعيد سواء كانوا من المستشرقين بالمعنى الضيق لهذا المصطلح أو من مؤرخى الأديان أو علماء الاجتماع أو السياسة ممن لهم شهرة وأتباع .

وفى نقاشه للآراء الاستشراقية يسير على منهج بعيد عن التعصب أو المجاملة أو الخضوع للعواطف والأهواء . وعلى أساس ذلك يقدر للنزهاء من بين المستشرقين جهودهم المخلصة فى محاولاتهم المنصفة لفهم المبادىء الإسلامية ، كما ينبه فى الوقت نفسه إلى أخطاء من ضل سبيل الرشاد من أولئك الباحثين ، وينقض ما تحتوى عليه دراساتهم من شر أو سوء أو خطأ أو سطحية . ويرى الدكتور غلاب أنه ينبغى أن نضع

بحوث المستشرقين فى طليعة دراساتنا لعدة أسباب من بينها أن الطريق الوحيد الذى تسلكه المبادئ الإسلامية للتغلغل فى أصقاع الغرب هو طريق مؤلفات المستشرقين ، وأن الشعوب الغربية وحكوماتها تصدر أحكامها على الإسلام طبقا لما يبرزه المستشرقون ، وأن سوء التفاهم بيننا وبين تلك الشعوب وحكوماتها يرجع إلى ما تشتمل عليه هذه الدراسات من زيف وتشويه ، هذا فضلا عن أن بعض شبابنا يتلقفون كل ما يرد عن الغرب دون تعقل وتمحيص .

وهذا كله يحتم علينا أن نجعل بحوث المستشرقين فى مقدمة اهتماماتنا وأن نمنحها الصدارة فى دراساتنا وتحليلاتنا. (نظرات استشراقية ص ٣ – ٥) .

٤ – مراجع :

(أ) سجلات كلية أصول الدين بالقاهرة .

(ب) من مؤلفات الدكتور محمد غلاب المراجع التالية :

١ – الفلسفة الإغريقية (فى جزئين) – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠ .

٢ – الفلسفة الإسلامية فى المغرب – من منشورات جمعية الثقافية الإسلامية – القاهرة ١٩٤٨ .

٣ – المذاهب الفلسفية العظمى فى العصور الحديثة – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٤٨ .

٤ – مشكلة الألوهية – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٥١.

٥ - المعرفة عند مفكرى المسلمين (مراجعة الأستاذ عباس العقاد والدكتور زكى نجيب محمود) - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ - القاهرة .
٦ - نظرات استشراقية فى الإسلام - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة (دون تاريخ) .

علي حسن عبد القادر
(١٩٠١ - ١٩٩٠)

---

١ - حياتـه :

ولد علي حسن عبد القادر في ١٩٠١/١٢/٢١ ، وتخرج في الأزهر عام ١٩٢٨ ، ثم حصل على درجة التخصص من الأزهر برسالته التي قدمها عن المعتزلة عام ١٩٣١ ، وعين مدرسا في كلية أصول الدين في العام نفسه . سافر إلى ألمانيا وحصل على الدكتوراه من جامعة برلين عام ١٩٣٩ برسالته التي قدمها في موضوع « الفقهاء السبعة في المدينة وآراؤهم » . عمل مديراً للمركز الإسلامي في لندن في الأربعينيات . وقد انتهز فرصة إقامته في انجلترا للحصول على الدكتوراه من جامعة لندن . وقد حصل عليها عام ١٩٤٨ برسالة قدمها في التصوف الإسلامي عن أبي القاسم الجنيد ورسائله . عمل أيضا مديرا للمركز الإسلامي في واشنطن . عين عميدا لكلية أصول الدين عام ١٩٦١ ، ثم عميدا لكلية الشريعة ، وقام بتدريس الفلسفة في كلية أصول الدين ، وتاريخ التشريع الإسلامي في كلية الشريعة ، كما قام أيضا بتدريس الشريعة الإسلامية في

جامعتى القاهرة وعين شمس وفى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ، وفى قسم الدراسات الشرقية بجامعة لندن وجامعة كولومبيا بنيويورك . عين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وعضوا بلجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (المجلس الأعلى للثقافة حاليا) ، وكان عضوا فى لجنة الرقابة الشرعية لدار المال الإسلامى . وقد توفى عام ١٩٩٠ .

٢ - مؤلفاتـــه :

بالإضافة إلى الرسائل العلمية المشار إليها - والتى حصل الدكتور على حسن عبد القادر بموجبها على درجات علمية من الأزهر وألمانيا وانجلترا - له عدد من المؤلفات فى الشريعة الإسلامية والعقيدة والتصوف وبعضها بالإنجليزية ، كما اشترك فى ترجمة بعض الكتب الأجنبية إلى العربية . ومن أهم مؤلفاته ما يلى :

١ - نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى - ويتناول هذا الكتاب نشأة الفقه الإسلامى وتطوره إلى عصر قيام المذاهب الفقهية ، كما يتناول أيضا تاريخ القرآن الكريم والحديث النبوى .

٢ - فقه المضاربة فى التطبيق العلمى والتجديد الاقتصادى .

٣ - العقيدة الإسلامية فى أدوار التاريخ .

٤ - دراسات فى الاقتصاد الإسلامى والمعاملات المعاصرة .

٥ - الإسلام فى مجرى التاريخ (بالإنجليزية) .

٦ - الفقه الإسلامى ومتطلبات العصر .
٧ - الملكية وحيازة الأرض (بالعربية والإنجليزية) .
٨ - بحوث فى القضاء والحسبة والفقه الإسلامى فى دائرة الحضارة الإسلامية .

ومن أهم الكتب التى حققها ما يلى :

١ - المعراج للقشيرى .
٢ - دواء التفريط للجنيد .
٣ - الرياضة وأدب النفس للترمذى . وقد حقق هذا الكتاب الأخير بالاشتراك مع المستشرق الإنجليزى المعروف آربوى أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن حينذاك .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد كان الدكتور على حسن عبد القادر - بعد عودته من ألمانيا عام ١٩٣٩ - متأثرا إلى حد كبير ببعض الدراسات الاستشراقية . وقد ظهر أثر ذلك واضحا فى ذلك العام فى محاضراته التى كان يلقيها على طلاب مرحلة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) فى كلية الشريعة عن تاريخ التشريع الإسلامى . ومن أجل تعريف القراء بهذه الدراسات اشترك فى ترجمة كتابين من أهم مؤلفات جولدتسيهر إلى العربية هما : العقيدة والشريعة فى الإسلام ، والمذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن .

ولكن كتابات الدكتور على حسن عبد القادر فيما بعد كانت تنطوى على نظرات نقدية لأعمال المستشرقين ، وإن كان قد ظل حتى نهاية حياته يستفيد من العناصر الإيجابية فى هذه الدراسات ويقتبس منها ما يدعم به وجهات نظره . وقد كان من أبرز القضايا التى ناقشها نظرية بعض المستشرقين ، وبخاصة جولدتسيهر ، فى وضع الحديث النبوى . وتذهب هذه النظرية إلى القول بأن القسم الأكبر من الحديث النبوى ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول والثانى .

وقد ناقش هذه النظرية وانتهى إلى القول بأن وجهة نظر المستشرقين فى هذا الصدد لا تعدو أن تكون محاولة لبناء نظرية مفروضة متخيلة على أخبار تصيدوها من أشتات الكتب ، وجعلوا مما خرج مخرج الجرح والتعديل - الذى استعمله السلف مبالغة فى تعريف الحديث - حقائق ثابتة وصورا صحيحة ، كما رد عليها أيضا بنظرية أخرى سادت أيضا فى أوساط المستشرقين فى العصر الحديث وتتفق فى نتيجتها مع وجهات النظر الإسلامية . (نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ١٢٦ - ١٣٦) .

وفى عام ١٩٤٧ حقق مع المستشرق الإنجليزى آربرى كتاب الرياضة وأدب النفس للترمذى . ويشير المحققان فى تقديمهما لهذا الكتاب إلى تأثر التصوف الإسلامى منذ البداية بمؤثرات أجنبية . فقد جاء فى هذه المقدمة (ص ٦ - ٧) ما يأتى :

« وقد كان المشرق قبل الفتح الإسلامى ملتقى هاما لثقافات وأديان مختلفة ، حيث كان الطريق الرئيسى الذى يربط بلاد الصين وبلاد فارس مخترقا بلاد الهند . وهنا تلاقت الأديان والثقافات المختلفة . فنجد المجوسية بجانب البوذية ، بجانب أديان الهند وثقافتها . ومن هذه الجهات شقت النسطورية طريقها إلى الصين ومنها انتشرت المانوية فى الشرق ، كما كانت مجالا للغزو اليونانى ... فكل هذه العناصر المختلفة كان لها من غير شك أثر فى تطور التصوف الإسلامى فى أول الأمر .»

ولكن الدكتور على حسن عبد القادر من ناحية أخرى ينفى ما يذهب إليه العديد من المستشرقين من تأثر الفقه الإسلامى بمؤثرات أجنبية ، ويرى أن الفقه الإسلامى - الذى يمثل المجتمع الإسلامى فى تطوره التاريخى - لم يتأثر بأى مؤثرات أجنبية لا فى طريقته أو أصوله أو قواعده ، كما أنه حافظ على أصالته من غير أن تؤثر فيه الفلسفات الأخرى ، لأنه ليس إلا تفسيرا للقرآن واستلهاما لروحه وتبريرا لمشروعيته . فهذه الأصول الفقهية والقواعد المذهبية إنما هى تفسيرات للقرآن . (دراسات فى الاقتصاد الإسلامى ص ٧ - ١١) .

ومن هنا يمثل الفقه الروح الإسلامية والتفكير الإسلامى فى مهدهما وعلى حقيقتهما . وهذا بخلاف « علم الكلام » الذى لا يمثل الطابع الإسلامى الصميم من هذه النواحى . فقد دخلته - كما يقول - عناصر أجنبية من الفلسفة فى مادته وصورته ، واشتملت مباحثه على أبحاث لا تمت إلى الدين الإسلامى

بصلة ، وقام فى أساسه على فكرة التوفيق بين الدين والفلسفة . (نظرة عامة ص ٢) .

ويذهب د . على حسن عبد القادر إلى القول بأن الفقه الإسلامى لا يزال حتى الآن يمثل العامل الأساسى فى الكفاح الفكرى للإسلام ضد الغرب . فالنهضة الأوربية الحديثة تقف منا موقفا سلبيا فى المقام الأول من ناحية حياتنا العملية وسلوكنا الاجتماعى ، حيث يرون فيهما تأخرا وجمودا ورجعية وبعدا عن التمدن . « ولما كان الفقه هو الذى يمثل هذه الناحية فى حياة المسلمين كان هو خط الدفاع الأول للإسلام ضد هذه الهجمات المتواصلة من قبل المدنية الغربية ، ومن هنا كانت حركات الإصلاح والتقدم الإسلامى التى يحاول بها المصلحون المسلمون التجديد تبتدىء من الفقه » . (نظرة عامة ص ٣) .

وقد تناول فى كتابه « دراسات فى الاقتصاد الإسلامى » قضية المعاملات المعاصرة التى تقوم بها البنوك وعما إذا كانت تدخل فى باب الربا المحرم أم لا . وقد انتهى - بعد عرض آراء القدامى والمحدثين - إلى أن الربا المقطوع بتحريمه بالقرآن الكريم هو ربا النسيئة الذى كان معمولا به فى الجاهلية ، وهذا لا مجال فيه للاجتهاد . أما ربا الفضل الثابت بالسنة فالأمر فيه قابل للاجتهاد ، وقرر أن التأمين جائز مباح من حيث المبدأ من أجل المصلحة والضرورة والحاجة التى تدفع إلى العمل به ، كما كان يرى أن فى أبواب المضاربة فى الفقه الإسلامى مجال واسع يلبى حاجة الناس ومصالحهم العمرانية (ص٦٧ ، ٧٥ومابعدها).

٤ - مراجع :

(أ) مراجع متفرقة :

١ - سجلات كلية أصول الدين بالقاهرة .

٢ - مجلة الأزهر . شعبان ١٤١١هـ - فبراير ، مارس ١٩٩١ .

٣ - السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى للدكتور مصطفى السباعى - المكتب الإسلامى بيروت ١٩٧٨ .

٤ - العقيدة والشريعة فى الإسلام للمستشرق جولدتسيهر وترجمة د . على حسن عبد القادر وزميليه - دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٥٩ .

(ب) من مؤلفات د . على حسن عبد القادر :

١ - نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٦٥ .

٢ - دراسات فى الاقتصاد الإسلامى والمعاملات المعاصرة (من مطبوعات دار المال الإسلامى) ١٩٨١ .

٣ - الرياضة وأدب النفس للترمذى (المقدمة) - القاهرة ١٩٤٧ .

محمد البهى
(١٩٠٥ . ١٩٨٢)

---

١ - حياته :

ولد محمد البهى فى قرية « أسمانية » التابعة لمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر فى ١٩٠٥/٨/٣ . وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق عام ١٩١٧ بمعهد دسوق الدينى ، وبعد ثلاث سنوات انتقل إلى معهد طنطا الدينى ثم إلى معهد الإسكندرية الدينى حيث حصل منه على الشهادة الثانوية الأزهرية .وبعد ذلك تابع دراسته فى الأزهر الشريف بالقاهرة ، وحصل على شهادة العالمية النظامية بعد أن تقدم إلى الامتحان من الخارج مختصرا بذلك المدة الدراسية ، ثم التحق بقسم التخصص فى البلاغة والأدب ، وأتم دراسته فى هذا القسم وحصل على درجة التخصص عام ١٩٣١ ، وكان البحث الذى تقدم به للحصول على هذه الدرجة بعنوان « أثر الفكر الإغريقى فى الأدب العربى نثرا ونظما » .

وفى سبتمبر ١٩٣١ سافر إلى ألمانيا لدراسة الفلسفة مبعوثا من مجلس مديرية البحيرة إحياء لذكرى الشيخ

محمد عبده . وقد حصل على الدكتوراه من جامعة هامبورج عام ١٩٣٦، وكانت رسالته للدكتوراه فى موضوع « الشيخ محمد عبده والتربية القومية فى مصر » .

وبعد عودته إلى مصر اشتغل بتدريس الفلسفة فى كلية أصول الدين ، ثم نقل عام ١٩٥٠ إلى كلية اللغة العربية أستاذا ورئيسا لقسم الفلسفة ، وعمل بجانب التدريس مديرا عاما للثقافة الإسلامية بالأزهر ، ثم عين أول مدير لجامعة الأزهر بعد صدور قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١ . وفى سبتمبر ١٩٦٢ عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر . وفى مارس ١٩٦٤ عين مرة أخرى مديرا لجامعة الأزهر فاستقال وعُين أستاذا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة . وعندما بلغ الستين من عمره ترك التدريس وتفرغ للكتابة والتأليف إلى أن وافته المنية فى ١٠ سبتمبر ١٩٨٢ وعمره سبعة وسبعون عاما .

٢ - مؤلفاته :

للدكتور محمد البهى إنتاج علمى غزير ومتنوع ، ومعظم هذا الإنتاج ألفه فى العشرين عاما الأخيرة من حياته بعد أن تفرغ للتأليف . وقد بلغ عدد الكتب التى ألفها ٢٣ كتابا ، وعدد الرسائل الصغيرة ٢٢ رسالة ، وقام بتفسير ٢٣ سورة من سور القرآن الكريم بالإضافة إلى تفسير « جزء عمّ » كله . وأهم مؤلفاته المبكرة فى الفلسفة الإسلامية كتابه « الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى » (١٩٤٨) - أما الكتاب الذى كان سبب

شهرته في العالم العربى والإسلامى فهو كتابه « الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى » (١٩٥٧) .

ومن بين مؤلفاته التى توالى صدورها منذ أواسط الستينيات نذكر بصفة خاصة المؤلفات التالية :

١ - الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم .

٢ - الفكر الإسلامى المعاصر : الجزء الأول : مشكلات الأسرة والتكافل - الجزء اللثانى : مشكلات الحكم والتوجيه .

٣ - الإسلام فى الواقع الأيديولوجى المعاصر .

٤ - طبقية المجتمع الأوربى وانعكاس آثارها على المجتمع الإسلامى المعاصر .

٥ - منهج القرآن فى تطوير المجتمع .

٦ - تهافت الفكر المادى التاريخى .

٧ - من مفاهيم القرآن فى العقيدة والشريعة .

٨ - المجتمع الحضاري وتحدياته من توجيه القرآن الكريم .

٩ - الإسلام فى حياة المسلم .

وقبل وفاته بعامين كتب سيرته الذاتية . وقد صدرت بعد وفاته بعنوان : « حياتى فى رحاب الأزهر : طالبا وأستاذا ووزيرا » . ويُعد هذا الكتاب وثيقة هامة لتسجيل بعض الأحداث التى مرت به ولها صلة ببعض التطورات السياسية والأحداث التى مرت بالأزهر .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

يتضح من كتابات الدكتور محمد البهى فى فترة السينيات أنه كان يبدو متحمسا للاشتراكية العربية بوصفها نظاما حتميا لإعادة الوضع الإسلامى (الإسلام ونظم الحكم المعاصرة ص ٧٩) وكان يذهب إلى القول بأنه « لا سبيل إذن للمجتمعات الإسلامية المعاصرة من أمرين معا يحتمهما الإسلام :

أولا : تسلم مال الأعداء وهو رأس المال الأجنبى الذى حماه الأجنبى باستعماره .

وثانيا : إبقاؤه ملكية عامة ، وطريق ذلك هو التأميم .

ولكنه كان يفهم الاشتراكية العربية على أنها نظام يجمع بين الملكية العامة فى مصادر الإنتاج الرئيسية ، والملكية الخاصة ، والإيمان بالله وبدينه ، والمساواة ، وعلاقات الأخوة والتعاون مع الشعوب النامية . (ص ٨٧) .

ومن هنا كانت دعوته لعلماء المسلمين أن يشاركوا فى مساندة هذا النظام بالفقه وبالفلسفة الإسلامية وبالنصيحة وبتحرير الاقتصاد القومى . ولكن أمله خاب فى الاشتراكية العربية بعد أن أثبتت التجربة فشل كل الشعارات التى رفعتها. وقد تم حذف الكثير مما كتبه عن الاشتراكية العربية من كثير من كتبه عند إعادة طبعها ، وأصبح لا يؤمن إلا بحلول إسلامية خالصة .

وقد وقف الدكتور البهى موقفا صارما ضد تيار الفكر المادى التاريخى (تهافت الفكر المادى التاريخى ١٩٧٥) . وقد بين فى

هذا الكتاب مدى تخلف الفكر الماركسى اللينينى وإفلاسه فى تحقيق العدالة الاجتماعية ، ومدى بعده عن إيجاد مجتمع إنسانى عديم الطبقات ، ومدى نفاذه فى الاحتفاظ بالسلطة عن طريق استخدام الإرهاب والتعذيب والتجويع والإذلال . فالتقدمية التى يدعيها لا صلة لها بالتقدم فى إنسانية الإنسان . وهو إذ يدعى العدالة يحقق الظلم ، ويخلق طبقة بدل طبقة ، ويحارب الدين ، ويمنع المجتمع الماركسى أن يطل على الفكر الإنسانى الآخر غير الماركسى (ص ٧ ، ٨) .

وكما وجه الدكتور البهى نقده للفكر الماركسى وجه أيضا سهام نقده للفكر الغربى الاستعمارى الذى يريد إبقاء المسلمين فى موقع التخلف . ومن هنا كان كتابه « الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى » الذى قصد به -كما يقول- « بيان السبيل لمن يحرص فى الشرق الإسلامى على الاستقلال فى التفكير وفى السياسة من مفكرى الإسلام وزعماء السياسة بينهم . وهذا السبيل ليس هو سبيل الغرب الذى يدعونا إليه ، لأن فى سبيل الغرب قبول الاستعمار والمذلة والدعوة إلى التخلف ، وإنما هو سبيل الشرق (الإسلامى) الذى يريد أن يتحرر من استعمار الغرب وإذلاله وحرصه على أن يبقى متخلفا » (ص ٢٠) .

ولم يكن الدكتور البهى يترك فرصة إلا ويهاجم بشدة الفكر المادى فى مختلف أشكاله وصوره . وهذا ما يلحظه المرء بوضوح فى معظم كتبه ، حتى مؤلفاته فى تفسير القرآن

الكريم راح يبين فيها أن الوحى المكى قد حارب مادية الفكر التى كانت تسيطر على عقول العرب المكيين . وما المادية المعاصرة إلا شكل آخر من أشكال المادية لا يختلف فى أساسه عن المادية القديمة .

ويرى الدكتور البهى أن حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة يكمن فى الحلول الإسلامية وليس فى الحلول المستوردة من الشرق أو الغرب . وقد حاول أن يوضح ذلك فى كتابه « الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة » تناول فيه الرأى الإسلامى فى حل عدد من المشكلات التى تسود المجتمعات الإسلامية المعاصرة وهى مشكلات : العلمانية والديمقراطية ، ومشكلة الاقتصاد فى المجتمع ، ومشكلة العمل فى المصانع ، ومشكلة التأمين والبنوك ، ومشكلة ازدياد السكان ، والإسلام فى تجربة الحياة الصناعية المعاصرة .

وهكذا كان حريصا على عرض وجهات النظر الإسلامية فى مواجهة التيارات المعاصرة ويشير إلى ذلك فى سيرته الذاتية (ص ١٣٩) بقوله : « وأعتقد أنى قد ساهمت إلى حد ما فى عرض الإسلام فى مواجهة التحديات الأيديولوجية الماركسية والمنطقية الوضعية » .

ولكن الدكتور البهى فى نقده للفكر الماركسى من جانب والفكر الغربى الرأسمالى من جانب آخر ، وفى نقده لتيارات الفكر الإغريقى ، لم يكن يدعو إلى انغلاق الفكر الإسلامى على نفسه ، ولكنه كان يدعو إلى التأنى فى القبول أو الرفض .

ويعبر عن هذا الموقف بقوله : « إن الأمة الإسلامية فى حاضرها لا ينبغى أن تغلق النوافذ دون الفكر المعاصر ، كما لم تغلقها دون الفكر الإغريقى فى الماضى ، ولا الفكر الفارسى أو الهندى أو الدينى المسيحى اليهودى ، ولكن يجب أن تتريث فى قبوله ، ولا تتوان فى رده إن كان يحمل خطرا يهدد وجودها واستقلال ذاتيتها كما فعلت بالأمس » (الجانب الإلهى ص ٦) . فالقصد إذن هو تقييم هذا الفكر الوافد « بهدف أن تبقى رسالة الله فى بعد عن صفة الإنسان كى ترسم الطريق المستقيم لهداية الناس جميعا ، كما يبقى الفكر الإنسانى مستقلا عن أن تشوبه عقيدة أو إيمان كى لا يحجم الإنسان عن نقده وتقييمه » (ص ١٢) .

٤ - مراجع :

لقد ظهرت كتابات متفرقة عن الدكتور البهى فى بعض الصحف والمجلات فى مصر والعالم العربى فى حياته وبعد وفاته . وهناك بعض الباحثين يقومون حاليا بإعداد رسائل جامعية عن فكره فى جامعة الأزهر وبعض الجامعات الغربية . وقد اعتمدنا هنا على مؤلفات الدكتور البهى نفسه وبخاصة المؤلفات التالية :

١ - حياتى فى رحاب الأزهر طالبا وأستاذا ووزيرا -مكتبة وهبة .

٢ - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى - مكتبة وهبة ١٩٨١ .

٣ - الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة - مكتبة وهبة ١٩٨١.

٤ - الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى - ١٩٦٧ .

٥ - تهافت الفكر المادى التاريخى ١٩٧٥ .

٦ - الإسلام ونظم الحكم المعاصرة - مكتبة وهبه ١٩٦٥ .

أحمد حسن الباقورى
(١٩٠٨ - ١٩٨٥)

---

١ - حياتــه :

ولد أحمد حسن الباقورى عام ١٩٠٨ فى قرية باقور التابعة لأسيوط وكان والده رجلا فقيرا يعمل بالتجارة . التحق الصبى بمعهد أسيوط الدينى وحصل منه على الشهادتين الابتدائية والثانوية . ثم التحق بالقسم العالى فى الأزهر وحصل على الشهادة العالمية ، انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٣١، وحصل على شهادة التخصص فى البلاغة والأدب (المعادلة للدكتوراه) عام ١٩٣٦ ، وكان الباقورى خطيبا يهز النفوس بطلاقته وبلاغته . شارك بحماس فى قضايا الوطن وقضايا الأزهر . ودخل السجن لأول مرة عام ١٩٣٤ ، وفى ثورة طلاب الأزهر عام ١٩٣٥ ، كان الباقورى أحد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للطلاب . وقد كتب الأستاذ فكرى أباظه فى مجلة المصور فى ١٩٣٥/٧/١٢ يقول : « الباقورى هو مندوب الطلبة فى الخطابة ورئيس اتحادهم أيام الاضراب . خطب الشاب فذهلت وطارلبى .. إلقاء متزن على أحدث طرق فى الإلقاء ، ألفاظ

مختارة بميزان الذهب الحر ..... معان كلها سمو وكلها ارتفاع . لم أصدق أن الذى يتكلم طالب أزهرى . وإنما خيل إلىّ أننى أسمع زعيما مسئولا من زعماء المنابر فى أوربا .

عين الباقورى عام ١٩٣٦ مدرسا فى معهد القاهرى الدينى ودخل السجن مرة ثانية عام ١٩٣٨ بتهمة تحريض الطلاب على الإضراب ، ثم أفرج عنه واعتقل بعد ذلك عدة مرات . وتدرج فى وظائف التدريس ثم عين وكيلا لمعهد أسيوط الدينى فوكيلا لمعهد المنيا . وفى عام ١٩٥٢ عين وزيرا للأوقاف فى مصر وكانت صلته باجتماعات الإخوان المسلمين قد قطعت منذ اختيار الأستاذ الهضيبى مرشدا عاما للجماعة . ولم تكن هذه القطيعة مفاجئة ، فقد وهنت هذه الصلة قبل ذلك بالتدريج لعدم موافقته على أسلوب الجماعة فى التعامل مع خصومها .

وفى عام ١٩٥٨ أصبح وزيرا مركزيا للأوقاف بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا . وفى فبراير ١٩٥٩ خرج من الوزارة وتعرض لمحنة قاسية من التشهير استمرت أكثر من خمس سنوات . ثم عين مديرا لجامعة الأزهر عام ١٩٦٤ وانتخب عضوا فى مجمع اللغة العربية وفى مجمع البحوث الإسلامية . وقد شارك فى العديد من المؤتمرات الإسلامية فى كثير من بلدان آسيا وإفريقيا ، وزار العديد من البلاد العربية والإسلامية . وكانت وفاته فى ١٩٨٥/٨/٢٦ فى إحدى مستشفيات لندن ودفن بالقاهرة .

٢ - مؤلفاته :

من أهم مؤلفات الشيخ الباقورى المؤلفات التالية :

١ - عروبة ودين - دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٧ . ويشتمل هذا الكتاب على موضوعات شتى تمثل خلاصة لمجموعة الخطب التى ألقاها فى مناسبات مختلفة وفى حفلات عديدة .

٢ - أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية - دار المعارف ١٩٦٩ .

٣ - خواطر وأحاديث - كتاب اليوم ١٩٦٩ .

٤ - مع القرآن - مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٧٠ .

٥ - مع الصائمين - دار الشعب بالقاهرة ١٩٧١ .

٦ - القرآن آية ومنهاج - وفيه يتحدث عن معجزات الأنبياء وعن وجه إعجاز القرآن الكريم واختلاف وجهات النظر بين علماء المسلمين فى إعجاز القرآن . ثم يتناول مناهج الإصلاح للمجتمع الإسلامى التى جاءت فى القرآن مبعوثا بها محمد رسول الله رحمة للعالمين .

٧ - من أدب النبوة : وهو عبارة عن شرح من الناحيتين الشرعية واللغوية لحوالى مائتى حديث من الأحاديث النبوية .

وله غير ذلك مؤلفات أخرى منها : « فى الطريق إلى باندونج » وهو عبارة عن مقدمة سياسية ولكنه يدور حول تفسير الآية الكريمة « ويسألونك عن ذى القرنين » . وله كتاب عن مصطفى كمال أتاتورك يكشف فيه عن تحقيق أحلام المستعمرين من هدم الدولة الإسلامية وتفتيت وحدتها على يد أتاتورك الذى كان معاديا للدين ومتلهفا على الحكم . أما كتابه

الذى نشر بعد وفاته فهو : « بقايا ذكريات » - (مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٨) . وفى هذا الكتاب يروى الباقورى أسرار وملابسات مشاركته فى حركة الإخوان المسلمين التى أنشئت فى الإسماعيلية عام ١٩٢٧ وفى حركة طلاب الأزهر التى بدأت عام ١٩٣٤ وفى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لعل أهم مؤلفات الباقورى هو كتابه عن « أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية » وقد كان هذا الكتاب هو الرسالة العلمية التى تقدم بها لنيل شهادة التخصص فى البلاغة والأدب من الأزهر . وقد كتب الدكتور طه حسين مقدمة لهذا الكتاب .

ويبين الباقورى أن اللغة العربية تأثرت بالقرآن من طريقين :

أولهما : تأثير القرآن المباشر فى اللغة من حيث تنقية ألفاظها من الوحشى الغريب وتلطيف أساليبها ، ولفت أنظار العرب إلى معان جديدة جعلتهم يضعون لها ألفاظا جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل .

وثانيهما : طريق غير مباشر وذلك أن القرآن مكن للعرب أن يختلطوا بغيرهم من الأمم ذات الحضارات المعروفة والاستفادة مما لدى هذه الأمم من تجارب ومناهج للتفكير وسائر مظاهر الحياة .

ويبين الباقورى أن هناك نوعين من التأثير للقرآن فى اللغة العربية : أحدهما عام والآخر خاص . أما الأثر العام فيعنى به ما كانت اللغة بجملتها مظهرا له كحفظها من الزوال كما زال غيرها من اللغات . أما الأثر الخاص فيعنى به ما كان لفظ اللغة أو معناها مظهرا له . ويتمثل الأثر العام فى مظاهر أربعة :

١ - بقاء اللغة هذا الأمد الطويل يرجع إلى ارتباطها بالقرآن الكريم الذى نزلت به ، فهى المرجع فى حفظه والسبيل إلى فهمه ، وكل عدوان عليها يعد عدوانا عليه ، والدفاع عن القرآن يستتبع الدفاع عنها لأنها السبيل إلى فهمه والإيمان به .

٢ - توحد لهجات اللغة العربية وزوال ما فيها من تناكر . وقد نزل بلغة قريش لأن « كلام قريش سهل واضح وكلام العرب وحشى غريب » .

٣ - جعلها لغة رسمية فى جميع الممالك التى دخلها الإسلام . وكان هناك أمران ساعدا على نشرها وتوسيع نفوذها :

أولهما : محاولة الناس فهم القرآن ومعرفة أحكام الدين .

وثانيهما : الحاجة إلى التفاهم مع الولاة والحكام .

٤ - جعلها لغة تعليمية .

أما الأثر الخاص للقرآن الكريم فى اللغة العربية : فإنه يظهر فى كل من ألفاظ اللغة ومعانيها وأغراضها وأسلوبها .

وقد تضمن كتاب الباقورى « خواطر وأحاديث » عددا من الموضوعات الهامة التى توضح بجلاء وجهة نظره فى قضايا جوهرية : فقد عرض فى هذا الكتاب لقضية العقيدة ووضح

أساليب الفكر فى إثبات الوجود الإلهى ، ورد على الذين يتجاهلون الفطرة الإنسانية فينكرون وجود الخالق .

ثم تحدث عن ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة وقال : إننى أرى أن المسلمين ليسوا أقل حرصا على الوحدة وتقريب الصفوف من المسيحيين فى دعوتهم إلى المجمع المكسونى فى كل فترة من الزمن تحت رعاية قداسة البابا فى روما .

وقد ترجم الباقورى دعوته إلى التقريب عمليا بقبوله دعوة للمشاركة فى حفل تنصيب سلطان طائفة البهرة فى الهند ، كما منحت جامعة الأزهر - عندما كان الباقورى مديرا لها - درجة الدكتوراه الفخرية لسلطان البهرة . ويقول الباقورى فى ذلك : كان قصدى من ذلك التقريب بين طائفة السنة فى مصر وطائفة الشيعة سواء كانوا فى العراق أو إيران أو الهند من الشيعة الإمامية أو كانوا من الشيعة الإسماعيلية .

وكما دعا إلى ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية دعا أيضا إلى ضرورة تقريب مسافات الخلف بين المسلمين والمسيحيين لأن التعصب الدينى هو آفة المجتمع الإنسانى . وإذا ظل التعصب قائما على ما هو عليه من الحدة وسوء الانتهاز فإن المتدينيين هم الخاسرون سواء فى ذلك المسلمون والمسيحيون . وكان له نشاط بارز فى جمعية الإخاء الدينى التى تضم مسلمين ومسيحيين .

وفى كتابه « عروبة ودين » تطرق إلى قضية الموسيقى والغناء والتمثيل وغيرها من الفنون فأشار إلى أن للفنون فى حياتنا آثارا عميقة الأغوار لا ينبغى للناس أن يجهلوها ولا يستطيعون أن يتجاهلوها لأنها تتصل بعواطفنا وتلامس قلوبنا ، والفن الجميل فى المجتمع الإنسانى وليد غرائز فطرية غالبة لا مصلحة لأحد فى مقاومته والقضاء عليه . ومن هنا ينبغى العمل على جعل الفن أداة من أدوات الرحمة ووسيلة من وسائل الأمن والطمأنينة بعد أن ظل دهرا طويلا وسيلة من أطوع الوسائل إلى القلق والإزعاج .

وعلى أهل الفن أن يذكروا أنفسهم أن لأمتهم فى أعناقهم أمانة لا تقل قداسة عن الأمانات التى وضعتها الأمة فى أعناق رجال الأمن ورجال الدين ورجال القانون ، بل إن هذه الأمانات متوقف أداؤها إلى حد كبير على جهود أهل الفن وإخلاصهم فى بذل هذه الجهود وإحسانهم فى تخير الأساليب التى يؤدون فيها فنونهم ويبثون من خلافها توجيهاتهم وإرشاداتهم حتى يمكن بذلك القضاء على الجوانب السلبية التى تشوب الجوانب المختلفة للفنون .

وعن الدين وضرورته للإنسان يقول :

« إما أن يخضع الإنسان لله وهذا هو الدين الصحيح الذى لابد منه لسعادة البشرية ، وإما أن يخضع لبشر مثله وهذا هو ما تصير إليه الإنسانية حتما حينما تعرض عن ديانات السماء . فالدين عند التحقيق هو تحقيق للكرامة التى كرم الإنسان بها

رب العالمين فسخر له ما فى السموات وما فى الأرض ، وسخره هو فى عبودية رب السموات والأرض ، وهى العبودية التى يبلغ الإنسان بها أقصى ما تتطلع إليه حرية الأحرار » .

ويرى ضرورة ارتباط الأخلاق بالدين : « فالأخلاق هى العاصم الوحيد من تسخير القانون للهوى إذا شاء الحاكم - خضوعا لهواه - أن يسخر القانون . والأخلاق أيضا هى العاصم الوحيد من تسخير الدين للهوى إذا أراد الحاكم - خضوعا لهواه - أن يسخر الدين - وليس من شك فى أن الأخلاق النابعة من الدين إذا مكنت لها الدولة فى الشعب فإنه يحيا بها آمنا على ماضيه وحاضره وقابله جميعا » .

٤ - مراجـع :

١ - بقايا ذكريات للشيخ أحمد حسن الباقورى - مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٨ .

٢ - إبراهيم البعثى : شخصيات إسلامية معاصرة ج٢ - دار الشعب ١٩٧٢ .

٣ - نعم الباز : الباقورى « ثائر تحت العمامة » - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ .

وبالإضافة إلى ذلك قام أحد الباحثين بإعداد رسالة ماجستير فى جامعة الأزهر (كلية اللغة العربية بأسيوط) بعنوان : الباقورى شاعرا .

سليمان دنيا
(١٩١٠ - ١٩٨٨)

---

١ حياته :

ولد سليمان سيد أحمد دنيا في قرية سدود التابعة لمركز منوف بمحافظة المنوفية بمصر فى ١٩١٠/٢/١٨ . تخرج فى كلية أصول الدين بالأزهر وحصل على الشهادة العالية عام ١٩٣٨ ، ثم واصل دراساته العليا وحصل على الشهادة العالمية من درجة أستاذ عام ١٩٤٥ . وفى عام ١٩٥٠سافر إلى إنجلترا مبعوثا من الأزهر لدراسة الفلسفة . وبعد سنوات قليلة أمضاها هناك عاد إلى مصر وعمل مدرسا بكلية أصول الدين ، وانتدب للعمل بالمؤتمر الإسلامى بالقاهرة ، وتدرج فى سلك التدريس إلى أن صار أستاذا ورئيسا لقسم العقيدة والفلسفة عام ١٩٦٦ ووكيلا لكلية أصول الدين عام ١٩٦٧ .

وقد أعير فى الستينيات للتدريس فى جامعتي القرويين بالمغرب ، وأم درمان بالسودان . وفي السبعينيات عمل مديرا للمركز الإسلامى فى نيويورك بضع سنوات ، وبعد ذلك عمل أستاذا فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ثم عاد إلى مصر .

وتوفى فى القاهرة حوالى عام ١٩٨٨ دون أن يشعر بوفاته أحد ، اللهم إلا من خلال بضعة أسطر كتبها أحد القراء فى بريد القراء بإحدى الصحف اليومية فى مصر .

٢ - مؤلفاته :

ينقسم الإنتاج العلمى للدكتور سليمان دنيا إلى قسمين :

(أ) كتب قام بتحقيقها .

(ب) كتب قام بتأليفها .

وشهرته فى مجال التحقيق أكثر من شهرته فى مجال التأليف . فقد قام بتحقيق مجموعة من مؤلفات الغزالى هى : مقاصد الفلاسفة ، معيار العلم ، تهافت الفلاسفة ، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، ميزان العمل . كما حقق تهافت التهافت لابن رشد ، والإشارات والتنبيهات لابن سينا ، وحاشية الشيخ محمد عبده على العقائد العضوية ، واشترك أيضا فى تحقيق الشفاء لابن سينا والمغنى للقاضى عبد الجبار.

أما الكتب التى ألفها فهى قليلة نسبيا وأهمها :

١ - الحقيقة فى نظر الغزالى .

٢ - التفكير الفلسفى الإسلامى - ولم ينجز من هذا الكتاب إلى الجزء الأول . أما الجزء الثانى - الذى كان من المفروض أن يتناول فيه بالبحث أهم قضايا الفلسفة الإسلامية - فلم يخرج إلى الوجود .

٣ - وبالإضافة إلى هذين الكتابين له بعض البحوث الأخرى حول موضوعات : الدين والعقل ، مفهوم التصوف ، الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين . وهناك أيضا مقدماته المستفيضة للكتب التى حققها حيث تشتمل هذه المقدمات على دراسات لأفكار وشخصيات المؤلفين المعنيين .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

لقد اتبع الدكتور سليمان دنيا فى تحقيقه للنصوص الفلسفية الكثيرة التى قام بتحقيقها طريقة غير معتادة . فبدلا من إثبات الفوارق بين النسخ فى الهوامش يلجأ فى كثير من تحقيقاته إلى ذكر الفروق الهامة فى داخل المتن مشيرا إلى ذلك بعبارة « وفى نسخة أخرى ... » دون أية إشارة إلى طبيعة هذه النسخة الأخرى . وبعض تحقيقاته تخلو من ذكر أية فروق فى داخل المتن أو فى الهوامش . فالذى يهمه فى المقام الأول هو إخراج نص صحيح للقارىء ، ولا يهمه أن يكثر من الهوامش . وقد كان ذلك من المآخذ التى أخذت عليه حيث خالف الطريقة المعتادة فى التحقيق ، وهى طريقة المستشرقين الذين يعمدون إلى إثبات كل الفروق بين النسخ المختلفة فى الهوامش .

ولكن سليمان دنيا يعيب طريقة المستشرقين ، ويرى أن الدعوة إلى التأنق والتفنن فى حشد أخطاء النساخ وأضاليلهم فى كتب هى دعوة إلى التراضى والاستنامة . ويدافع عن طريقته فى التحقيق قائلا : لم أشأ أن احتفظ فى الهامش بكل

الفوارق وأدع القارىء يختار . فهذه الطريقة - فى نظره - لا تزيد على أن تكون جمعا للنسخ المتعددة فى مجلد واحد ، وفيها إرهاق للقارىء . وفضلا عن ذلك فإنه ليس فيها كبير نفع للعلم سوى حفظ الأصول .

وفى هذا الصدد يعبر عن وجهة نظره فى الاستشراق بصفة عامة مشيرا إلى أن الأساس الذى قام عليه الاستشراق لم يكن أساسا علميا خالصا ، بل كان مرتبطا بالسياسة أو ما يشبه السياسة - وبالإضافة إلى ذلك فإن الاستشراق قد خالطه كبرياء لا يليق بالعلم والعلماء .

ومن هنا يدعو سليمان دنيا علماء المسلمين إلى تطهير ساحتهم الفكرية من الاستعمار الغربى ، كما طهر الساسة البلاد من الاستعمار المادى . (مقدمة المحقق لكتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا ص ٨ - ١٣) .

وفى مقدمته لحاشية الشيخ محمد عبده على العقائد العضوية ينتقد سليمان دنيا المنهج العقلى البحت للشيخ محمد عبده ، ويرى أنه منهج يتسم بالخطورة ، فالشرع يرشد إلى خلافه . والأحاديث النبوية الصحيحة صريحة - كما يقول - فى وجوب الأخذ بما كان عليه النبى وأصحابه لا فى وجوب أن يركب كل واحد رأسه ويؤمن بما يتأدى إليه بحثه دون مرشد أو معين ، ويرى سليمان دنيا أن المنهج الدينى السليم هو منهج الاتباع وليس ترك الأمر للعقل يسير على حسب ما يتأدى إليه بحثه إنكارا أو إثباتا .

وفى دراسته للغزالى « الحقيقة فى نظر الغزالى » - التى تعد أهم مؤلفاته - يرى أن شك الغزالى قد مر بمرحلتين :

أولهما : مرحلة كان فيها شكا خفيفا من النوع الذى يعترى الكثير من الباحثين .

وثانيهما : مرحلة كان فيها عنيفا هداما ، أى أنه فى هذه المرحلة الثانية كان شكا حقيقيا مطلقا وليس شكا منهجيا كما هو الحال لدى ديكارت .

فالشك فى المرحلة الأولى كان يتمثل فى أى الفرق التى وجدها على حق ؟ .

أما فى المرحلة الثانية فقد كان شكا فى ميزان الحقيقة . وقد خرج منه عن طريق النور الذى قذفه الله فى صدره وأعاد إليه الثقة فى الضروريات العقلية . (الحقيقة فى نظر الغزالى ص٢٥ - ٢٩) .

ويذهب سليمان دنيا فى هذه الدراسة أيضا (ص١١٣-١١٩) إلى القول بأن من يريد دراسة الغزالى على أنه مصلح دينى يعنى بإرشاد الناس وتعليمهم فليدرسه فى كتبه التى قدمها للجمهور ، ويدخل كتاب « التهافت » فى عداد هذه الكتب . أما من يريد دراسة الغزالى ليعرف الحقيقة فى نظره كما يعتقدها فليدرسه فى كتبه التى ضن بها على الجمهور مثل كتاب « المضنون على غير أهله » وكتاب « معارج القدس » .

وقد استنتج سليمان دنيا من آراء الغزالى فى هذين الكتابين أنه كان - مثل غيره من الفلاسفة المسلمين - يقول

بقدم العالم وأبديته ، وبعدم علم الله بالجزئيات وبالبعث الروحانى . وهى تلك الآراء التى أخذها الغزالى على الفلاسفة فى كتابه التهافت ، واعتبر القول بها خروجا على الإسلام . ولكن سليمان دنيا يرى أن لهذه القضايا تخريجات تبعد بها عن التخوفات التى أبداها علماء الكلام . (الحقيقة فى نظر الغزالى ص٣٩٢-٤٠١) .

وقد كان سليمان دنيا يريد أن يشتمل كتابه « التفكير الفلسفى الإسلامى) على إيضاح الحلول الإسلامية للمسائل الفلسفية المتمثلة فى قضية الألوهية ومسألة قدم العالم أو حدوثه ، ومسألة البعث ، ومسلة تجرد النفس الإنسانية . ولكن الجزء الذى كان من المفروض أن يشتمل على بحث هذه القضايا لم يخرج إلى الوجود ، واكتفى فى الجزء الأول بمناقشة الماديين وأصحاب المذهب الوضعى منتصرا للفلسفة الإلهية . ويعبر عن ذلك بقوله : « رأيت - قبل الشروع فى الفلسفة الإسلامية - أن أصفى الحساب مع الفلسفة المادية حتى إذا ما تبين زيفها وبطلانها رفعنا أنقاضها من طريق الفلسفة الإسلامية لتسير بخطى فسيحة نحو غايتها التى تحقق للإنسانية سعادتها » (ص٨) .

٤ - مراجع :

١ - سجلات كلية أصول الدين بالقاهرة .

٢ - الأزهر : تاريخه وتطوره - إصدار وزارة الأوقاف وشئون الأزهر ١٩٦٤ .

٣ - من مؤلفات الدكتور سليمان دنيا المراجع التالية :

(أ) الحقيقة فى نظر الغزالى - دار المعارف ١٩٨٠ .

(ب) التفكير الفلسفى الإسلامى - مكتبة الخانجى بمصر ١٩٦٧ .

(جـ) المقدمة التى كتبها لكتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا - القسم الأول - دار المعارف ١٩٧١ .

عبد الحليم محمود
(١٩١٠ - ١٩٧٨)

---

١ - حياتـه :

ولد « عبد الحليم محمود على » فى شهر مايو عام ١٩١٠ فى قرية « أبو أحمد » بضواحى بلبيس بحافظة الشرقية - وتُسمى القرية الآن باسم قرية « السلام » . حفظ القرآن الكريم فى كتَّاب القرية ، ثم التحق بالأزهر عام ١٩٢٣ ، وبعد إنشاء معهد الزقازيق الدينى انتقل إليه عام ١٩٢٥ ، واختصر فترة الدراسة بأن تقدم للحصول على الشهادة الثانوية الأزهرية من الخارج وحصل عليها عام ١٩٢٨ .

ويقول عن نفسه فى عرضه لسيرته الذاتية (الحمد لله هذه حياتى ص ٢٩) إنه لم يكن حاد الذكاء ولم يكن قوى الذاكرة ، وأن ترتيبه فى الدراسة كان دائما فى أوائل المتوسطين .

وقد نال الشهادة العالمية عام ١٩٣٢ ثم سافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة فى العام نفسه لاستكمال دراسته فى جامعة السوربون ، وقد حول إلى البعثة الأزهرية عام ١٩٣٨ ، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٤٠ وكانت رسالته للدكتوراه عن « الحارث بن أسد المحاسبى » .

وبعد عودته من فرنسا عمل مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية ، ثم نقل أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٥١ ، وعين عميدا للكلية عام ١٩٦٤ ثم اختير أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية فى أوائل عام ١٩٦٩ ، وعين وكيلا للأزهر عام ١٩٧٠ ، ثم وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ، ثم شيخا للأزهر. وقد زار العديد من البلاد العربية والإسلامية فى آسيا وإفريقيا ، وفضلا عن ذلك زار عددا من البلاد الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية . وتوفى فى ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٨.

٢ - مؤلفاته :

الإنتاج العلمى للدكتور عبد الحليم محمود إنتاج غزير ومتنوع فقد ترجم أو اشترك فى ترجمة عدد من المؤلفات من الفرنسية إلى العربية ، كما حقق أو اشترك فى تحقيق العديد من كتب التراث وبخاصة فى ميدان التصوف . وبالإضافة إلى ذلك قام بتأليف عدد كبير من الكتب فى الفلسفة والتصوف وغيرهما من مجالات إسلامية مختلفة .

ومن بين المؤلفات التى اشترك فى ترجمتها ، الفلسفة اليونانية لألبير ريفو ، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة لأندريه كريسون ، الأخلاق فى الفلسفة الحديثة لأندريه كريسون . ومن بين الكتب التى حققها : تفسير التسترى (فى جزءين) ، الطريق إلى الله أو كتاب الصدق للخراز ، المنقذ من الضلال للغزالى ، لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى . ومن أهم

الكتب التى اشترك فى تحقيقها ونشرها : اللمع للطوسى ، الرعاية لحقوق الله للمحاسبى ، الرسالة القشيرية للقشيرى ، عوارف المعارف للسهروردى ، حكم ابن عطاء الله للشيخ زروق ، التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى . ومن بين الكتب التى ألفها : الإسلام والعقل ، فلسفة ابن طفيل ورسالته ، التفكير الفلسفى فى الإسلام ، التصوف عند ابن سينا ، أوربا والإسلام ، كما ألف سلسلة كتب عن عدد كبير من أعلام التصوف الإسلامى . وقد كتب سيرته الذاتية فى كتاب بعنوان : « الحمد لله هذه حياتى » .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

المثل الأعلى لمن يطلب الحكمة - فى نظر الدكتور عبد الحليم محمود - يتمثل فى « الكشف عن الإله ، ثم الاتصال به » كما عبر عن ذلك أفلوطين فى دقة وعمق بالغين . وبناء على ذلك يعرف الدكتور عبد الحليم محمود الفلسفة بأنها : « المحاولات التى يبذلها الإنسان عن طريق العقل وعن طريق التصفية ليصل بها إلى معرفة الله » . فهذه المحاولات هى الفلسفة والنتيجة هى الحكمة .

وعندما يطبق التعريف المشار إليه على محاولات الفلاسفة يرى أن الغزالى - باعتبار أنه استكمل شطرى الطريق - أصل فى الميدان الفلسفى من ابن سينا ومن أرسطو ومن ديكارت نظرا لأن كلا من هؤلاء لم يقطع إلا نصف الطريق ، أى المحاولات

عن طريق العقل فقط . وكل الفلاسفة العقليين - فى رأى الدكتور عبد الحليم محمود - أنصاف فلاسفة ، بينما يرى أن الفلسفة الهندية مثلا تعد فلسفة كاملة لأنها حققت الكشف عن الإله ثم الاتصال به - وقد صور ابن طفيل فى رسالته « حى بن يقظان » الطريق الكامل المشتمل على طريق العقل وطريق التصفية معا . وإذا كان الأمر كذلك فإن علما مثل علم أصول الفقه لا يُعد فلسفة لأنه ليس كشفا عن الإله ولا اتصالا به (التفكير الفلسفى فى الإسلام ٢٤٣-٢٤٥) .

ويذهب الدكتور عبد الحليم محمود إلى حد القول الجازم بأن « الفلسفة لا رأى لها .... فى أية مسألة من المسائل الجزئية ، وهى لا رأى لها فى أى موضوع من الموضوعات الكلية ... فمادام كل رأى فلسفى يعارض رأى فلسفى آخر ويعارض الرأيين رأى ثالث فلسفى وهكذا ، فتكون النتيجة أنه لا رأى للفلسفة » (الحمد لله هذه حياتى ص ١٠٥) .

والعقل - فى رأيه - عاجز تماما عن الوصول إلى يقين فى المسائل الميتافيزيقية والأخلاقية - فكل ما ينتهى إليه البحث العقلى فى هذا الصدد يُعد من قبيل الأمور الظنية التى تختلف فيها آراء الباحثين وتتعارض مع بعضها ، وليس للعقل دور إلا فى مجال الحضارة المادية التى هى بأكملها من عمل العقل - والسبيل إلى الوصول إلى الحق فى الميتافيزيقا والأخلاق هو سبيل الدين - ويؤكد الدكتور عبد الحليم محمود أن هذا هو منهجه الخاص فى حياته الفكرية وهو « منهج الاتباع » يسير

فيه تبعا لتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . وقد خصص لشرح وجهة نظره هذه كتابه « الإسلام والعقل » الذى يقول عنه إنه لم يفرح فى يوم من الأيام لظهور كتاب له بمقدار ما فرح حين ظهر هذا الكتاب فى طبعته الأولى (ص ٩ وما بعدها) .

ويقول فى سيرته الذاتية (ص١٧٩ وما بعدها) : إن « كل ما كتبته عن التصوف وعن الشخصيات الصوفية فإنما يسير فى فلك هذا المنهج : منهج الاتباع . وهذا المنهج يفترض مقاومة الغزو الفكرى » الذى يتمثل فى العقائد وفى نظام المجتمع وفى مجال التشريع ، فالغزو الفكرى فى العقائد يتمثل فى التراث الفلسفى اليونانى الذى نقل إلى العربية فى مجال ما بعد الطبيعة . فهذا التراث نتاج بشرى متناقض يتسم بكل ما يتسم به النتاج البشرى من خطأ وضلال .

أما الغزو الفكرى فى نظام المجتمع فإنه يتمثل فى فرض نظام المجتمعات الأوربية علينا.وهذا يعنى -إذا سرنا فى تياره - أن نفقد ذاتيتنا ونصبح بلا شخصية ، وبالتالى نفقد رسالتنا التى هى رسالة الإسلام التى من أجلها كانت الأمة الإسلامية ، وبدونها تفقد الأمة الإسلامية مبررات وجودها .

وأما الغزو الفكرى فى مجال التشريع فإنه يتمثل فى كليات الحقوق التى تعد دراستها كلها - كما يقول - من قبيل الغزو الفكرى والاستعمار الفكرى . فالقوانين الأوربية يخصص لها عشرون ساعة فى الأسبوع فى حين يخصص للتشريع

الإسلامى ساعتان فقط أسبوعيا . وهذا يعنى أن هذه الكليات تفرض على الطالب أن يستعمر الأوربيون فكره فى مجال التشريع ، وأن يلغى ذاتيته الإسلامية فى هذا المجال . ومنهج الاتباع يقتضينا أن ننظر فى جد فى أمر هذه الكليات حتى تكون تمثيلا حقيقيا للوطنية والإسلام والعروبة .

ويرفض الدكتور عبد الحليم محمود أن يكون هناك تعارض بين العلم والدين نظرا لاختلاف موضوع كل منهما . فموضوع العلم هو المادة وموضوع الدين هو العقائد والأخلاق والتشريع ونظام المجتمع والتقوى وصلاح الفرد وصلته بالله تعالى ...الخ . فهذان مجالان مختلفان تماما ، فليست هناك - إذن - مشكلة بالنسبة للإسلام . وهذه القضية - قضية النزاع بين الدين والعلم - قضية غريبة تماما عن الجو الإسلامى ، وقد كان لها فى أوربا ظروفها الخاصة التى أفرزتها هناك . ومن هنا لا يجوز إثارتها فى الشرق دون فهم حقيقى لجذورها فى تلك البلاد . (الحمد لله هذه حياتى ص ١٠٨) .

٤ - مراجـع :

(أ) من مؤلفات الدكتور عبد الحليم محمود :

- الحمد لله هذه حياتى - دار المعارف ١٩٨٥ .
- الإسلام والعقل - دار المعارف ١٩٨٥ .
- التفكير الفلسفى فى الإسلام - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ .

(ب) مراجع أخرى :

١ - مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن للأستاذ على عبد العظيم - ج٢ - القاهرة ١٩٧٩ .

٢ - شيخ الإسلام الإمام عبد الحليم محمود . من تأليف رءوف شلبى - دار القلم بالكويت .

محمد بن فتح الله بدران
(١٩١٠ - ١٩٧٠)

---

١ - حياتــــه :

ولد فى ١٩١٠/٦/٩ فى بلدة قصور الأمراء بالمنوفية . التحق بالأزهر وتخرج من كلية أصول الدين بحصولة على الشهادة العالية عام ١٩٣٧ ، ثم حصل على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى العقيدة والفلسفة عام ١٩٤٦ ، وعين فى العام نفسه مدرسا فى كلية أصول الدين ، وتدرج فى سلك التدريس حتى أصبح أستاذا ورئيسا لقسم الدعوة عام ١٩٦٨ . وقد توفى فى ١٩٧٠/١١/٨ وكان له نشاط ملحوظ بمحاضراته الدينية العديدة فى المحافل العامة ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية .

٢ - مؤلفاتــــه :

أول إنتاج علمى للشيخ بدران كان تحقيقه لكتاب الملل والنحل للشهرستانى . وقد كان هذا الكتاب هو الرسالة العلمية التى تقدم بها للحصول على درجة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) . وجاء على صفحة الغلاف أنه « خرجه ،

وحقق نصوصه ، وعرض أصوله ، وابتكر فهارسه ، وانفرد بتقسيمه ، ومهد لتخريجه ، وعلق عليه ، وألف له ولمؤلفه » . وقد طبع هذا الكتاب فى مجلدين على نفقة الأزهر . ولكن لما طبع لم يشتمل على المدخل إلى هذا الكتاب ، والذى ألفه الشيخ بدران تحت عنوان : « المدخل إلى كتاب الملل والنحل » . وقد تناول موضوعاته - كما يقول - فى قسمين كبيرين : أولهما عالج فيه الأبحاث التالية : واجباتنا العلمية ، التخريج العلمى ، تقرير قواعده نظريا وعمليا ، تخريج كتاب الملل والنحل ، التعريف بأصول الكتاب وبخاصة المخطوطة منها ، تقسيم الكتاب . أما القسم الثانى فقد تحدث فيه بالتفصيل عن عصر الشهرستانى وعن الشهرستانى نفسه وعن كتابه الملل والنحل.

أما بقية مؤلفات الشيخ بدران فأهمها ما يأتى :

١ - العقيدة والفطرة .
٢ - تاريخ الأديان المقارن .
٣ - المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب .
٤ - الفلسفة الحديثة فى الميزان وتأسيس القواعد من القرآن .

ويقع هذا الكتاب الأخير فى طبعته الثانية فى حوالى سبعمائة صفحة . وأسلوب الكتاب تغلب عليه النزعة الخطابية والعبارات الأدبية الحماسية .

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

أهم آراء الشيخ بدران يجدها المرء فى ثنايا كتابه « الفلسفة الحديثة فى الميزان وتأسيس القواعد من القرآن » . وفى هذا الكتاب يرى الشيخ بدران أن العالم الآن يعانى أزمات أخلاقية شاملة . وأن أشد هذه الأزمات تعقيدا هى الأزمة الأخلاقية فى التفكير ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب يتمثل أولها :فى الغرور بما أنجزه العلم . وثانيها : فى الفردية والأنانية والآلية ، أو العلمانية والسطحية والفوضوية .وثالثها : فى الاستعمار الفكرى (ص ١٩ ، ٢٠) الذى يرمى إلى تقويض ديننا وأخلاقنا وأفكارنا ولغتنا ومثلنا وأمجادنا وفلسفتنا (ص ٣٨) .

ويركز الشيخ بدران على نقد الفلسفة الحديثة مبينا - من وجهة نظره - تهافتها . ويأخذ على عاتقه وبخاصة فى كتابه (الفلسفة الحديثة فى الميزان) القيام بتأسيس القواعد التى يجب أن تقوم عليها الفلسفة الحديثة من القرآن ، لأن القرآن وحده هو المجدد لشباب الأمم والشعوب فى كل زمان ومكان . (ص٢٢) . ويفرق بين التطور العلمى فى مجال الظواهر المادية وبين الفلسفة ويقول : « أنا لا أنتقص من شأن العلم والعلماء هناك ، الذين كشفوا عن الظواهر المادية ، وإنما أتربص بالفلسفة والفلاسفة هنا وهناك ، الذين خدعوا عن السرائر الإنسانية » (ص٣٨) .

ويجادل فى استحقاق الفلسفة الحديثة لوصف (حديثة) ويرفض إطلاق هذا الوصف عليها لأن لفظ حديثه - كما يقول -

(ص ١٠٢) يحمل فى طياته معنى أنها غير مسبوقة ، فهو حكم بالأولية ، وهذا ادعاء ينقصه الدليل المبنى على الاستقراء التام. ولكن رفضه للفلسفة الحديثة لا يعنى الجمود ولا رفض إنتاج العقل العالمى ، فهو يدعو كل مفكر وذى ثقافة « أن يعمق تفكيره بمعرفة تفكير الآخرين . فمن لا يعرف ثقافة غيره لا يمكن أن تكمل ثقافته . وإنما أحتم أن نقرأ لجميع الناس ، من جميع الأجناس ، ولكن على منهج وأساس ، أريد أن نقرأ للجميع ، لنضع كل واحد فى مكانه اللائق به من تراثنا وتراث الإنسانية » (ص ١٠٦/١٠٧) .

ويعود للتأكيد على أن الحكمة أو الفلسفة لا ينبغى أن تؤخذ إلا من القرآن « وإن كانت الفلسفة شيئا فلا يكون تبيانها إلا بالقرآن ، ومن القرآن ، وإن لم تكن شيئا فلا حاجة لنا بها ، بل ولا طريق لنا إليها » (ص ١١٤) .

ويربط بين التفكير كله والأخلاق الفاضلة ، ويرى أن أصحاب التفكير الصحيح الصادق هم أولو الألباب ، وهؤلاء هم أصحاب الأخلاق الفاضلة (٢٧٧ ، ٢٧٨) . والمعرفة يجب أن تصدر عن الأخلاق ، فالأخلاق أولا ، ثم المعرفة ثانيا ، ثم التفكير ثالثا ، ثم الإنتاج رابعا . والإنسانية اليوم متخمة بالتفكير ولكنها فى مجاعة خلقية ، ومرجع سبب ذلك إلى العقليين الذين أخضعوا الأخلاق لعقلهم وتفكيرهم ، فى حين أن عقلهم محدود بالبيئة والثقافة والميول والاتجاهات والصحة والمرض والاحتياج والاستغناء (ص ٢٦٦ - ٢٦٧) .

ويرى أن ركائز الحضارة الإنسانية تنحصر فى أربعة أمور هى : « أن يكتشف الإنسان حقيقته ، ويؤكد إنسانيته ، ويحقق خلافته (لله على الأرض) ، ويخلص لربه عبادته » (ص ٣٥١) .

٤ - مراجع :

١ - سجلات كلية أصول الدين بالقاهرة .

٢ - من مؤلفات الشيخ محمد بن فتح الله بدران .

(أ) الفلسفة الحديثة فى الميزان وتأسيس القواعد من القرآن - مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٩ .

(ب) كتاب الملل والنحل للشهرستانى - بتحقيق محمد بن فتح الله بدران - القسم الأول ١٩٥١ ، القسم الثانى ١٩٥٥ . الطبعة الأولى - مطبعة الأزهر .

(جـ) المدخل إلى كتاب الملل والنحل - مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين - ١٩٤٦ .

محمد بيصـــار
(١٩١٠ - ١٩٨١)

١ - حياتـــه :

ولد محمد عبد الرحمن بيصار فى ٢٠ أكتوبر ١٩١٠ فى بلدة السالمية التابعة لمركز فوة بمحافظة كفر الشيخ . وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد دسوق الدينى . حيث أنهى فيه دراسته الابتدائية ، ثم التحق بالمرحلة الثانوية بمعهد طنطا الدينى . وقد ألف فى هذه المرحلة رواية سماها « بؤس اليتامى » يتناول فيها ما يتعرض له الأيتام من ظلم الأوصياء ، ثم انتقل إلى معهد الإسكندرية الدينى وحصل منه على الشهادة الثانوية الأزهرية ، والتحق بكلية أصول الدين وتخرج فيها عام ١٩٣٩ . وبعد ذلك واصل دراساته العليا فى تخصص العقيدة والفلسفة ، وحصل على الشهادة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) عام ١٩٤٥ ، وفى العام التالى عين مدرسا بكلية أصول الدين . وفى عام ١٩٤٩ سافر إلى إنجلترا مبعوثا من الأزهر حيث حصل على الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة أدنبره عام ١٩٥٤ . وبعد عودته عاد إلى التدريس بكلية أصول الدين .

وفى عام ١٩٥٥ عين مديرا للمركز الإسلامى فى واشنطن ، ثم عاد عام ١٩٥٩ للعمل بكلية أصول الدين . وفى عام ١٩٦٣ اختاره الأزهر رئيسا لبعثته التعليمية فى ليبيا . وقد عين عام ١٩٦٨ أمينا عاما للمجلس الأعلى للأزهر ، ثم أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٧٠ ، ثم وكيلا للأزهر عام ١٩٧٤ ، ثم وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧٨ ، ثم عين شيخا للأزهر عام ١٩٧٩ ، وتوفى بالقاهرة عام ١٩٨١ .

٢ - مؤلفاتـــه :

تدور مؤلفات الدكتور بيصار بصفة عامة حول مجالى الفلسفة وعلم الكلام . وأهم هذه المؤلفات ما يلى :

١ - العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع .

٢ - الوجود والخلود فى فلسفة ابن رشد .

٣ - الفلسفة اليونانية : مقدمات ومذاهب .

٤ - تأملات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة .

وله بالإضافة إلى ذلك بحوث ودراسات حول الموضوعات التالية : « الحقيقة والمعرفة على نهج العقائد النسفية ، العالم بين القدم والحدوث ، الوجوب والإمكان والامتناع ، شروح مختارة لكتاب المواقف لعضد الدين الإيجى ، تعليقات على شرح قطب الدين الرازى لمتن الشمسية ، الإسلام بين العقائد والأديان ، الإسلام والمسيحية ، إثبات العقائد الإسلامية بين النصيين والعقليين ، الحرب والسلام فى الإسلام (بالإنجليزية)

٣ - آراؤه واتجاهاته الفكرية :

يذهب الدكتور بيصار إلى القول بأن القضايا التى أثيرت فى الفكر الإسلامى حول الألوهية لم تكن مجرد نقل عن حضارات أو ثقافات غريبة عن المجتمع الإسلامى أو نتيجة للتأثر بعوامل خارجية - كما يذهب إلى ذلك كثير من المستشرقين - ، وإنما كانت هناك عوامل داخلية هامة ساعدت على إثارة هذه المشكلات . وتتلخص هذه العوامل فى الحرية الفكرية التى منحها الإسلام لأتباعه فى شئون عقيدتهم ، ومطالبة القرآن للإنسان بالتأمل والتفكير فى ملكوت السموات والأرض لإدراك حقائق الكون وكشف أسراره وتحديد مركز الإنسان فيه ، وإشادة الإسلام بفضل العلم والمعرفة وتعظيمه لشأن العلماء . وذلك بالإضافة إلى رد شبهات الوافدين على الإسلام والمنحرفين عنه بمنطق عقلى رشيد .

ويؤكد الدكتور بيصار أن الهدف لأصحاب الآراء المختلفة من المسلمين فى أى مشكلة من مشاكل الألوهية كان السمو بالذات الإلهية والمبالغة فى تنزيهها . ومن هنا فلا ينبغى أن نوجه لوما إلى أحد هؤلاء الباحثين بالكفر والمروق ، بل علينا أن ندرس آراءه بأسلوب علمى دقيق لإبراز ما قد يكون قد وقع فيه من خطأ قد يكون غير مقصود .

وينبه الدكتور بيصار فى هذا الصدد إلى ضرورة مراعاة التفرقة الواضحة بين الإسلام ، كما جاء فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة وبين فهمنا نحن للإسلام أو محاولاتنا

لتفسير قضاياه وشرح نصوصه ، ويرى أن عدم التمييز بين هذين الوجهين كان السبب فى الأخطاء التى وقع فيها المستشرقون فى الكثير من الأحكام التى يصدرونها على الإسلام وهو منها براء .

وفى تناوله لقضية النزاع بين الدين والفلسفة بصفة عامة يرى الدكتور بيصار أن هذا النزاع قد انتهى فى الفلسفة الحديثة باتفاق رجال الدين ورجال الفلسفة على « أن يختص الدين بعلم المغيبات والحقائق اللامادية ، وأن يسد هذا الركن من أركان المعرفة الإنسانية ، كما تختص الفلسفة بعلم المحسوسات وأن تسد هذا الفراغ فى الناحية المادية من محيط المعرفة الإنسانية كذلك . ويُعد هذا التصافى بين الدين والفلسفة رفعا لما قد يبدو بينهما من تناقض أو خلاف » ، ويشير إلى أن رفع التناقض بين الدين والفلسفة قد سبق إليه ابن رشد فى كتابه فصل المقال (الفلسفة اليونانية : ص ٢٤) .

ويذهب الدكتور بيصار إلى مخالفة الرأى القائل بأن محاربة الغزالى للفلسفة فى المشرق قد قضت على الفلسفة ، وأن الغزالى كان سببا فى انحطاط الفلسفة فى المشرق ، ويرى أن فى ذلك مبالغة . فالفلسفة فى المشرق ظلت قائمة بعد الغزالى وكثر طلابها والمؤلفون فيها ، وضاقت الفجوة بينها وبين علم الكلام حتى اختلطت مسائلها بمسائله وجمعتا فى مؤلف واحد . ولكن الدكتور بيصار يعترف فى الوقت نفسه بأن الفلسفة مع هذا لم تستطع بعد الغزالى أن تحرز لنفسها

المكانة الأولى والحرية الكاملة التى كانت تحظى بهما أيام ابن سينا ، وذلك فضلا عن انعدام التجديد فى الميدان الفلسفى فى المشرق بعد الغزالى (الوجود والخلود ص ١٦ - ١٧) .

ويرفض الدكتور بيصار ما يذهب إليه بعض الباحثين من أن ابن رشد لم يكن من القائلين بقدم العالم ، وأنه عندما كان يقرر قدم العالم لم يكن يعدو فى ذلك أن يكون شارحا لآراء أرسطو فى هذه المسألة ، ويرى د . بيصار أن كتب ابن رشد الأخرى - التى لا تعد شروحا لآراء أرسطو - مثل كتاب التهافت وفصل المقال يتضح منها أن ابن رشد كان من القائلين بقدم العالم .

وقد كان الدكتور بيصار - عندما كان شيخا للأزهر - من مؤيدى التعديلات الإصلاحية التى أدخلت على قانون الأحوال الشخصية فى عهد الرئيس السادات رغم المعارضة الشديدة التى قوبلت بها هذه التعديلات حينذاك من بعض علماء الأزهر. وقد أعلن تأييده للتعديلات الجديدة فى ندوة تليفزيونية اشترك معه فيها الشيخ جاد الحق (مفتى الجمهورية حينذاك) والشيخ عبد المنعم النمر (وزير الأوقاف حينذاك) .

٤ - مراجع :

(أ) مراجع عامة :

- مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن من تأليف على عبد العظيم ج٢ - القاهرة ١٩٧٩ .

(ب) من مؤلفات الدكتور بيصار :

١ - الفلسفة اليونانية - مقدمات ومذاهب - منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ١٩٨١ .

٢ - العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ .

٣ - تأملات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧ .

٤ - فى فلسفة ابن رشد : الوجود والخلود - دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٧٣ .

٥ - إثبات العقائد الإسلامية بين النصيين والعقليين (بحث لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٠) .

الفهــــرس

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

الثمن ١٠٠ قرش

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر